منهج الشيخ ابن عثيمين
في
تفسير غريب القرآن

إعداد

د. حسن بن علي بن منيع الشهراني

الأستاذ المساعد بقسم القرآن وعلومه ـ بكلية الشريعة وأصول الدين

جامعة الملك خالد بأبها

بحث محكم مقدم لـ:

ندوة جهود الشيخ محمد العثيمين العلمية

222 Blank

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ (النساء: ١).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١).

أما بعد:

فإن من أجل العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم والمعينة على فهمه وتدبره؛ علم التفسير الذي يعد أشرف علوم القرآن الكريم التي يتوصل بها إلى ذلك؛ ولذا فقد عني بهذا العلم كبار العلماء في كل زمان ومكان، ومن هؤلاء العلماء الذين عنوا بتفسير القرآن الكريم فضيلة الشيخ العلامة الإمام **أبو عبدالله محمد بن صالح ابن عثيمين**، رحمه الله تعالى، والذي يعد بحق أبرز أعلام هذا العصر، وعلماء هذا الزمان، ممن طبقت شهرته الآفاق في العلوم الشرعية كافة، ومنها التفسير.

ولما أعلنت كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم عن تنظيم

ندوة: (**جهود الشيخ محمد العثيمين العلمية**) فقد عقدت العزم ـ مستعيناً بالله ـ على المشاركة في هذه الندوة ببحث بعنوان: (**منهج الشيخ محمد العثيمين في تفسير غريب القرآن**) إسهاماً مني في خدمة البحث العلمي، ومشاركة في إبراز منهج من مناهج التفسير الأصيلة لعالم جليل، ومفسر نحرير، وكذا وفاء بحق علمائنا علينا، ومنهم هذا العالم الجليل، والإمام الكبير، رحمه الله تعالى.

وأسأل الله، تعالى، أن أكون قد وفقت في اختيار الموضوع، وسددت في تناوله، وعرض مباحثه بما يحقق الغاية من مثل هذه الأبحاث التأصيلية، كما أسأله، سبحانه، أن يجزي القائمين على هذه الندوة خير الجزاء، وأن يجعل ما قدموه ويقدمونه في ميزان حسناتهم.

السبت ٠٨/ ٠٢/ ١٤٣١هـ

أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره :

يرجع سبب اختياري لهذا الموضوع إلى عدة أمور أجملها فيما يلي:

١ـ المكانة العلمية لهذا النوع من الأبحاث، والتي تبرز صفحة مشرقة لعلمائنا الأجلاء.

٢ـ المنزلة العلمية الرفيعة، والمكانة العالية التي حظي بها فضيلة الشيخ العلامة محمد بن عثيمين، رحمه الله تعالى، فهو أحد أبرز علماء هذا العصر، وأئمة هذا الزمان.

٣ـ بيان ما كان يتميز به، رحمه الله تعالى، من منهج فريد في تدريسه وتأليفه في شتى فنون العلم ومن أهمها التفسير.

٤ـ حاجة المكتبات الإسلامية إلى هذه الأبحاث المستقلة التي تبرز أصول منهج الشيخ، رحمه الله تعالى، عامة، وفي التفسير خاصة.

٥ـ لعل هذا البحث وأمثاله يعد رمز وفاء، وتقدير وإجلال لهذا الإمام الجليل على ما قدمه لخدمة الإسلام والمسلمين من جهود جبارة في مجال العلم والتعليم، والنصح والتوجيه.

فهذه الأسباب وغيرها جعلتني أعقد العزم على كتابة هذا البحث، سائلاً الله تعالى، التوفيق والسداد والقبول، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

***

خطة البحث

يتكون هذا البحث من مقدمة، وتمهيد، والدراسة المنهجية في خمسة عشر مبحثاً، وخاتمة، وفهارس، وذلك كما يلي:

* **المقدمة**: وقد اشتملت على بيان أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وطريقة تناوله.

* **التمهيد**: وفيه مبحثان:

ـ **المبحث الأول**: ترجمة موجزة للشيخ ابن عثيمين، رحمه الله تعالى.

ـ **المبحث الثاني**: لمحة موجزة عن «غريب القرآن» وعناية الشيخ به.

* **الدراسة المنهجية**: منهج الشيخ محمد العثيمين في تفسير غريب القرآن، وفيه خمسة عشر مبحثاً؛ كل مبحث منها في جانب من جوانب منهجه، رحمه الله تعالى، **وذلك على النحو التالي**:

- **المبحث الأول**: بيان المعنى بالاعتماد على القرآن الكريم.
- **المبحث الثاني**: بيان المعنى بالاعتماد على السنة.
- **المبحث الثالث**: بيان المعنى والاستشهاد له بالشعر.
- **المبحث الرابع**: بيان معنى الكلمة في السياق القرآني.
- **المبحث الخامس**: بيان معنى الكلمة في اللغة والشرع.
- **المبحث السادس**: بيان معنى الكلمة وتعليله.
- **المبحث السابع**: بيان وجوه الكلمة ونظائرها.

- **المبحث الثامن**: تفسير الكلمة بما يضادها أو يقابلها.
- **المبحث التاسع**: بيان أصل الكلمة واشتقاقها.
- **المبحث العاشر**: بيان المعنى وتوضيحه بالأمثلة.
- **المبحث الحادي عشر**: إيراد معنى الكلمة ثم تقسيمها أو تنويعها.
- **المبحث الثاني عشر**: بيان معنى الكلمة بمراعاة تصريفاتها اللغوية.
- **المبحث الثالث عشر**: بيان معنى الكلمة ونسبته إلى العلماء.
- **المبحث الرابع عشر**: تفسير الكلمة بالإحالة إلى ما هو معروف.
- **المبحث الخامس عشر**: الاعتماد في بيان المعنى على بعض القواعد.

* **الخاتمـــة**: وفيها أهم نتائج البحث وتوصياته.

***

منهـــج البحـــث

*** يتسم منهج البحث بالخطوات الآتية:**

١ـ الاستقراء والتتبع لأبرز ملامح منهج الشيخ، رحمه الله تعالى، في تفسير الغريب من خلال الأجزاء المطبوعة من تفسيره.

٢ـ الإفادة مما كتب عن الشيخ، رحمه الله تعالى، من كتب ومؤلفات ورسائل علمية في بيان منهجه في التفسير، وغيره من العلوم المختلفة.

٣ـ ذكر أهم ملامح منهج الشيخ، رحمه الله تعالى، مدعماً ذلك ببعض النماذج والأمثلة.

٤ـ أعتمد نقل نص كلام الشيخ، رحمه الله تعالى، في تفسير اللفظة أو الآية التي توجد فيها تلك اللفظة، وأثبت منهج الشيخ المقصود منها، وأكتفي في ذلك بنماذج موجزة مع التوثيق والعزو إلى مصادرها.

٥ـ أورد في التمثيل لأصل منهج الشيخ الذي أتحدث عنه عدداً من النماذج والشواهد المحددة نظراً لكثرتها، ورغبة في الإيجاز.

٦ـ عزو الآيات القرآنية الكريمة إلى سورها، وذلك بذكر رقم الآية واسم السورة في الحاشية.

٧ـ تخريج الأحاديث والآثار من مصادرها الأصلية؛ بذكر الكتاب والباب والجزء والصفحة ورقم الحديث أو الأثر، والاكتفاء بتخريج الحديث من الصحيحين إذا وجد فيهما أو في أحدهما، وإذا لم يكن في أي منهما؛ فإنني أخرجه من أمهات كتب السنة مع ذكر ما قاله أئمة الجرح والتعديل فيه من حيث القبول

والرد، والقوة والضعف.

٨ـ الترجمة الموجزة للأعلام المذكورين في صلب الموضوع، أي الدراسة المنهجية، عند أول ورود لذكرهم.

٩ـ ختمت البحث بخاتمة موجزة تشمل أهم نتائج البحث وتوصياته.

هذه أبرز معالم المنهج الذي اتبعته في هذا البحث؛ سائلاً الله تعالى، التوفيق والإخلاص، والتسديد والقبول.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

***

* **التمهـــيد :** وفيه مبحثان:

المبحث الأول

ترجمة موجزة للشيخ ابن عثيمين، رحمه الله تعالى

وتشمل العناصر التالية:

أ ـ اسمه ونسبه. ب ـ مولده. ج ـ نشأته وطلبه للعلم.

د ـ شيوخه. هـ ـ تلاميذه. و ـ آثاره العلمية. ز ـ وفاته.

أ ـ اسـمه ونسـبه:

هو الإمام، العلامة، المفسر، الفقيه، الفرضي، الأصولي، اللغوي أبو عبدالله، محمد بن صالح بن سليمان بن عبدالرحمن بن عثمان بن عبدالله بن عبدالرحمن بن أحمد بن مقبل؛ من آل مقبل؛ من آل رَيِّس الوهبي التميمي، وجده الثالث عثمان أطلق عليه: عثيمين؛ فاشتهر به، وهو من فخذ ـ وْهَبَه ـ من تميم، نزح أجداده من الوَشْم إلى عنيزة.(١)

ب ـ مولـــده :

ولد الشيخ، رحمه الله تعالى، في مدينة عنيزة، إحدى مدن القصيم، عام ١٣٤٧ هـ، في السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك (٢).

ج ـ نشأته وطلبه للعلم:

نشأ الشيخ في أسرة كريمة، وفي عائلة معروفة بالدين والاستقامة، ومنهم أهل علم وفضل؛ فقد قرأ القرآن الكريم على جده من جهة أمه عبدالرحمن بن سليمان آل

(١) انظر: جهود الشيخ ابن عثيمين وآراؤه في التفسير وعلوم القرآن ص ٣٠ـ٣١، و١٤ عاماً مع سماحة العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ص٩.

(٢) جهود الشيخ ابن عثيمين وآراؤه في التفسير وعلوم القرآن ص٣١.

دامغ، وحفظه كاملاً عن ظهر قلب، ثم اتجه إلى طلب العلم؛ فتعلم الخط والحساب وبعض فنون الآداب.

وكان، رحمه الله تعالى، قد آتاه الله ذكاء وحرصاً على تحصيل العلم، وهمة عالية في التزود منه؛ مما حمله على ملازمة العلماء والمشايخ والتتلمذ عليهم، وفي مقدمتهم الشيخ العلامة المفسر الفقيه عبدالرحمن بن ناصر السعدي، رحمه الله تعالى، والشيخ، رحمه الله تعالى، لم يرحل لطلب العلم إلا إلى الرياض حين فتحت المعاهد العلمية في عام ١٣٧٢هـ؛ فدرس بالمعهد العلمي في الرياض ثم في كلية الشريعة بالرياض منتسباً، ثم رجع إلى عنيزة لإكمال دراسته على شيخه ابن سعدي، رحمه الله تعالى.[١]

د ـ شـــيوخه:

للشيخ، رحمه الله تعالى، عدد من الأساتذة والمشايخ اللذين تتلمذ عليهم، أخذ عنهم العلم، **ومن أبرزهم:**

١ـ الشيخ العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي، رحمه الله تعالى، وهو الشيخ الذي لازمه قرابة ست عشرة سنة [٢]، وقد تأثر به تأثراً بالغاً، وقد خلفه في الإمامة والخطابة والتدريس في الجامع الكبير في عنيزة [٣].

٢ـ سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، رحمه الله تعالى، وهو شيخه الثاني، قرأ عليه في المعهد العلمي، وفي دروس خاصة بالرياض، ومما قرأ عليه من صحيح البخاري، وبعض كتب الفقه [٤].

(١) انظر: ١٤ عاماً مع سماحة العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ص١١، وابن عثيمين الإمام الزاهد ص ٢٧ـ٢٨، من ترجمته بقلم تلميذه رئيس تحرير مجلة الحكمة وليد بن أحمد الحسين.

(٢) انظر: جهود الشيخ ابن عثيمين.. ص ٣٣.

(٣) انظر: ١٤ عاماً مع سماحة العلامة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين ص ١١.

(٤) انظر: ابن عثيمين الإمام الزاهد ص ٣٠، و١٤ عاماً مع سماحة العلامة ابن عثيمين ص ١١.

٣ـ الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، رحمه الله تعالى، المفسر اللغوي صاحب التفسير المشهور، والمعروف بـ «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن»، درس عليه في المعهد العلمي في الرياض.(١)

٤ـ الشيخ علي بن حمد الصالحي، رحمه الله تعالى، وكان من أوائل من طلب العلم على يديه، وكان من تلاميذ الشيخ عبدالرحمن السعدي، وكان يدرس المبتدئين.(٢)

٥ـ الشيخ محمد بن عبدالعزيز المطوع، رحمه الله تعالى، وهو كذلك من أوائل من طلب العلم على يديه، وقد قرأ عليه الشيخ «مختصر العقيدة الواسطية»، و «منهاج السالكين» في الفقه، وكلاهما لابن سعدي، و «الآجرومية»، و «الألفية» في النحو والصرف.(٣)

٦ـ الشيخ عبدالرحمن بن علي بن عودان، رحمه الله تعالى، قرأ عليه الشيخ بعض كتب الفقه، كما درس عليه علم الفرائض.(٤)

٧ـ الشيخ عبدالرحمن بن سليمان آل دامغ، رحمه الله تعالى، قرأ عليه الشيخ القرآن حتى أتم حفظه، وهو جد الشيخ من جهة أمه.(٥)

٨ـ الشيخ عبدالعزيز بن ناصر بن رشيد، رحمه الله تعالى.

٩ـ الشيخ عبدالرحمن الأفريقي، رحمه الله تعالى، وهما من مشايخه في المعهد العلمي في الرياض.(٦)

---

(١) انظر: ابن عثيمين الإمام الزاهد ص ٣٠، و١٤ عاماً مع سماحة العلامة ابن عثيمين ص ١٠.

(٢) انظر: ١٤ عاماً مع سماحة العلامة ابن عثيمين ص ١٠.

(٣) انظر: ابن عثيمين الإمام الزاهد ص ٣١، و١٤ عاماً مع سماحة العلامة ابن عثيمين ص ١٠، وجهود الشيخ ابن عثيمين ص ٣٤.

(٤) انظر: ابن عثيمين الإمام الزاهد ص ٣١، و ١٤ عاماً مع سماحة العلامة ابن عثيمين ص ١٠، وجهود الشيخ ابن عثيمين ص ٣٤.

(٥) انظر: ابن عثيمين الإمام الزاهد ص ٣١، وجهود الشيخ ابن عثيمين ص ٣٤.

(٦) انظر: جهود الشيخ ابن عثيمين وآراؤه في التفسير وعلوم القرآن ص ٣٤.

هـ ـ تلاميـــذه:

كانت المدة التي قضاها الشيخ في التدريس تزيد على نصف قرن [1]، وقد تتلمذ عليه خلق كثير لا يمكن حصرهم بدقة؛ فطلابه في المعهد، وطلابه في الكلية، وفي المسجد، وفي الحرم، وفي كل مكان، وطلابه من مستويات مختلفة، فمنهم أساتذة جامعات وطلابها، وموظفون، وتلاميذ مدارس، ومتفرغون للعلم، كما أنهم من جنسيات مختلفة من داخل المملكة وخارجها إلا أن أكثرهم من منطقة القصيم؛ ولذا فحصر طلبة الشيخ على وجه الدقة متعذر.

وقد قام رئيس تحرير مجلة الحكمة وليد بن أحمد الحسين، أحد طلاب الشيخ، بذكر عدد من طلبة الشيخ المتميزين الذين أطالوا المكث عنده لسنوات، فأوصلهم إلى خمسة وسبعين طالباً[2].

وـ آثـاره العلميـــة:

تنوعت الآثار العلمية للشيخ، رحمه الله تعالى، ما بين مطبوع ومخطوط ومسموع، وما بين مؤلفات كتبها بيده وألّفها ابتداء، وما بين مؤلفات هي في الأصل عبارة عن دروس ألقاها في المساجد على طلابه فقاموا بتفريغها وتحريرها، وراجع الشيخ ~ بعضها قبل وفاته، وبعضها طبع قبل مراجعة الشيخ له؛ ولذا وقعت فيها أخطاء ينبغي التنبه لها، وهذا أغلب مؤلفات الشيخ، رحمه الله تعالى، المنتشرة اليوم.

وقد تولت مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية القيام بالمراجعة والتدقيق بعد وفاته، وكذا تولي مهمة طباعة الكثير من مؤلفاته ~ [3].

(١) انظر: جهود الشيخ ابن عثيمين وآراؤه في التفسير وعلوم القرآن ص ٣٤ـ٣٥.

(٢) انظر: جهود الشيخ ابن عثيمين وآراؤه في التفسير وعلوم القرآن ص ٣٥ـ٣٧، و١٤ عاماً مع سماحة العلامة ابن عثيمين ص ١٩.

(٣) انظر: جهود الشيخ ابن عثيمين وآراؤه في التفسير وعلوم القرآن ص ٤٠ـ٤١.

وقد بلغ مجموع ما تركه ~ من آثار مسموعة من أشرطة وغيرها ما يزيد على ٥٠٠٠ ساعة [١]، إضافة إلى برامجه الإذاعية، وفتاواه.

وأما المطبوعة فتزيد على ١٢٠ كتاباً، وما تحت الطبع نحو ٢٢ كتاباً [٢]. وأول كتاب طبع للشيخ، رحمه الله تعالى، هو كتاب «فتح رب البرية بتلخيص الحموية» وذلك عام ١٣٨٠هـ [٣].

وقد تنوعت مؤلفاته، رحمه الله تعالى، في شتى الفنون فمنها في العقيدة، ومنها في الفقه وأصوله، والحديث وعلومه، والتفسير وعلوم القرآن، واللغة... إلخ.

وسأذكر بعض أهم مؤلفاته في التفسير وعلوم القرآن بما أن البحث يتعلق بهذا الفن، وأما باقي مؤلفاته فتراجع المؤلفات في ذلك:

١ـ تفسير آية الكرسي.

٢ـ أصول في التفسير.

٣ـ شرح مقدمة التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية.

٤ـ شرح القواعد الحسان في تفسير القرآن لابن سعدي.

٥ـ أحكام من القرآن الكريم: الفاتحة، البقرة.

---

(١) ١٤ عاماً مع سماحة العلامة ابن عثيمين ص ١٩، وانظر:جهود الشيخ ابن عثيمين وآراؤه في التفسير وعلوم القرآن ص ٣٩ وذكر أنها قرابة ٦٠٠٠ ساعة صوتية.

(٢) انظر: جهود الشيخ ابن عثيمين ص ٤٢ـ٤٧، و ص ٤٨ـ ٤٩.

(٣) انظر مقدمة الشيخ نفسه للكتاب حيث ذكر أنه طبعه لأول مرة في سنة ١٣٨٠هـ (رسائل في العقيدة للشيخ ومنها: فتح رب البرية ص ٤٨) وقد رأيت بعض من ترجم للشيخ ذكر في موضع أنه لم يتصدى للتأليف إلا عام ١٣٨٢هـ حيث ألف كتابه (فتح رب البرية..) وفي موضع قال: أول كتاب طبع للشيخ هو (فتح رب البرية) وذلك عام ١٣٨٠هـ وانظر فيما ذكر ـ مثلاً ـ ابن عثيمين الإمام الزاهد ص ٢٩ وص ٣٢، وجهود الشيخ ابن عثيمين.. ص ٣٨ و ص ٤٠.

٦ـ تفسير القرآن الكريم: سورة الفاتحة، وسورة البقرة.

٧ـ تفسير القرآن الكريم: سورة آل عمران.

٨ـ تفسير القرآن الكريم: سورة النساء.

٩ـ تفسير القرآن الكريم: سورة الكهف.

١٠ـ تفسير القرآن الكريم: سورة يس.

١١ـ تفسير القرآن الكريم: سورة الصافات.

١٢ـ تفسير القرآن الكريم: سورة ص.

١٣ـ تفسير القرآن الكريم: سورة الحجرات إلى الحديد.

١٤ـ تفسير القرآن الكريم: جزء عم.

وغيرها كثير من مؤلفاته، رحمه الله تعالى، ولكن نقتصر على ما ذكر طلباً للاختصار.[١]

ز ـ وفاتـــــه :

توفي، رحمه الله تعالى، إثر إصابته بمرض سرطان القولون، وكانت وفاته عصر يوم الأربعاء ١٥/ ١٠/ ١٤٢١هـ عن عمر يناهز الرابعة والسبعين، قضاها في خدمة الإسلام والمسلمين حتى آخر يوم من حياته حيث استمر في إلقاء دروسه رغم مرضه حتى ودع طلابه في اليوم التاسع والعشرين من رمضان عام ١٤٢١هـ، وقد ختم درسه بقوله: «لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا»[٢].

(١) انظر في ذكر مؤلفاته: ابن عثيمين الإمام الزاهد ص ٣٢ـ٣٥، و ١٤ عاماً مع سماحة العلامة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين ص ١٩ـ٢٢، وجهود الشيخ ابن عثيمين وآراؤه في التفسير وعلوم القرآن ص ٤٢ـ٤٩.

(٢) انظر: جهود الشيخ ابن عثيمين وآراؤه في التفسير... ص ٣٢.

وكانت وفاته في جدة، وصُلي عليه في المسجد الحرام يوم الخميس عصراً، وحضر جنازته جمع غفير ودفن في مقبرة العدل بمكة المكرمة بجوار شيخه عبدالعزيز بن باز، رحمهما الله تعالى. وبوفاته فقدت الأمة علماً بارزاً من أبرز علمائها وصلحائها ودعاتها، رحمه الله تعالى رحمة واسعة، وأسكنه الفردوس الأعلى من الجنة[1].

(١) انظر في ترجمته: ابن عثيمين الإمام الزاهد ص ٢٧ـ٣٥، و١٤ عاماً مع سماحة العلامة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين ص ٩ـ٢٢، وجهود الشيخ ابن عثيمين وآراؤه في التفسير وعلوم القرآن ص٢٣ـ٥٤، وقد ذكر فيه أهم الكتب التي ألفت في ترجمته، وكذا بعض الرسائل والمجلات التي تعرضت لترجمته ـ رحمه الله تعالى ـ.

المبحث الثاني

لمحة موجزة عن «غريب القرآن» وعناية الشيخ به

وتشمل العناصر التالية :

أ ـ المراد بغريب القرآن :

اللفظ القرآني ينقسم إلى مفردات ومعان[١]؛ وبالتالي فإن التفسير من حيث موضوعه وهو «الآيات القرآنية» ينقسم إلى قسمين:

الأول: يتعلق بلفظ القرآن الكريم، وهو التفسير اللفظي.

الثاني: يتعلق بمعاني القرآن الكريم، وهو التفسير الذي يكشف عن معاني الآيات[٢].

والقسم الأول يعتبر الخطوة الأولى لمعرفة تفسير القسم الثاني؛ ولذا قال الزركشي «الذي يجب على المفسر البداءة به العلوم اللفظية، وأول ما يجب البداءة به منها تحقيق الألفاظ المفردة؛ فتحصيل معاني المفردات من ألفاظ القرآن من أوائل المعادن، لمن يريد أن يدرك معانيه..»[٣].

ومما يعتمد عليه القسم الأول هو علم الألفاظ الغريبة وهو ما يسمى «**غريب القرآن**».

وقد حُد **اصطلاحاً**: بأنه العلم المختص بتفسير الألفاظ الغامضة في القرآن الكريم، وتوضيح معانيها بما جاء في لغة العرب وكلامهم.[٤]

(١) انظر: جهود الشيخ ابن عثيمين وآراؤه في التفسير... ص ٢٥٩.

(٢) انظر: أصول التفسير وقواعده ص ٤٧.

(٣) البرهان في علوم القرآن ١/ ١٧٣، وانظر المفردات للراغب ص٦.

(٤) انظر: مقدمة تحقيق العمدة في غريب القرآن لمكي بن أبي طالب ص ١٤، وبحوث في أصول التفسير ومناهجه ص ١٢٠.

وقد ذكر الأخ الدكتور أحمد البريدي في رسالته القيمة «جهود الشيخ ابن عثيمين وآراؤه في التفسير وعلوم القرآن» ذكر أن غريب القرآن قد يطلق على علم مفردات ألفاظ القرآن، وأنه لا يُقصد به ما كان غامض المعنى دون غيره، وإنما المراد به تفسير مفردات القرآن عموماً[1]، وفي الحقيقة إنني أرى أن هذا القول أقرب إلى الصحة؛ فإن الكتب المؤلفة في تفسير غريب القرآن تتفاوت في إيراد الألفاظ الغريبة كثرة وقلة، مما يعني أن الغريب ليس ألفاظاً متفقاً عليها بين العلماء، بل إن بعضهم قد يعتبر من الغريب ما لا يعتبره البعض الآخر، كما أن بعض العلماء الذين ألفوا في تفسير غريب القرآن قد فسروا معظم ألفاظ القرآن الكريم، مما يعني أن مصطلح الغريب مصطلح واسع وأنه يُقصد به مفردات القرآن عموماً[2]. وهذا ما أميل إليه، وأسير عليه في بحثي هذا.

ب ـ أهميتـه:

قال الزركشي ـ رحمه الله تعالى ـ: «ومعرفة هذا الفن للمفسر ضروري، وإلا فلا يحل له الإقدام على كتاب الله تعالى»[3].

فهو أول ما يجب الاهتمام به، والبداءة به، والإلمام به لمن أراد تفسير كتاب الله تعالى.

ج ـ أهم المؤلفات فيـه:

هذا العلم أفرده بالتصنيف خلائق لا يحصون، كما قال السيوطي في «الإتقان».[4]

(١) انظر: جهود الشيخ ابن عثيمين وآراؤه في التفسير... ص ٢٥٩.

(٢) انظر مثلاً: تفسير المشكل من غريب القرآن لمكي بن أبي طالب، وكتاب: تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب لأبي حيان، وكتاب: تذكرة الأريب في تفسير الغريب لابن الجوزي.

(٣) البرهان في علوم القرآن ١/ ٢٩٢.

(٤) الإتقان في علوم القرآن ١/ ٣.

وطريقة التصنيف فيه من حيث الترتيب **تنقسم إلى قسمين:**

* فقسم جاء ترتيب الألفاظ فيه على ترتيب السور؛ فيذكر اسم السورة، ثم يذكر الغريب من كلماتها؛ ومن المؤلفات في ذلك: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة، و «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة، و «معاني القرآن» للزجاج.

* وقسم رتبها على حروف الهجاء، مثل: كتاب «غريب القرآن» للسجستاني، وكتاب «مفردات غريب القرآن» للأصفهاني، وكتاب «تحفة الأريب» لأبي حيان[1].

كما اعتنى العلماء بتضمين علم الغريب ضمن كتب المعاني وكتب التفسير؛ لأنه لابد لمعرفة المعنى من معرفة اللفظ إذ إن المركب لا يعلم إلا بعد العلم بمفرداته[2].

وإليك أسماء أهم الكتب المؤلفة فيه:

١ـ مسائل نافع بن الأزرق: وقد قام بتحقيقها ودراستها د. عائشة عبدالرحمن، وبلغت المسائل ١٨٩ مسألة.

٢ـ مجاز القرآن: لأبي عبيدة معمر بن المثنى ت سنة٢١٠هـ، وقام بتحقيقه د. محمد فؤاد سزكين في مجلدين.

٣ـ معاني القرآن: للأخفش الأوسط ت سنة ٢١٥ في مجلدين.

٤ـ تفسير غريب القرآن: لابن قتيبة ت سنة ٢٧٦هـ .

٥ـ معاني القرآن وإعرابه: للزجاج ت سنة ٣١١هـ في خمسة مجلدات.

٦ـ المفردات في غريب القرآن: للراغب الأصفهاني ت سنة ٥٠٢هـ.

٧ـ تذكرة الأريب في تفسير الغريب: لابن الجوزي ت سنة٥٩٧هـ.

٨ـ تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب: لأبي حيان الأندلسي ت سنة ٧٤٥هـ.

(١) انظر: بحوث في أصول التفسير ومناهجه ص ١٢٥.

(٢) انظر: جهود الشيخ ابن عثيمين وآراؤه في التفسير.. ص ٢٥٩، وانظر: البرهان في علوم القرآن ١/ ٢٩١.

وغيرها من المؤلفات الكثيرة [1].

د ـ عناية الشيخ ابن عثيمين به:

أدرك الشيخ، رحمه الله تعالى، أهمية هذا العلم بالنسبة لتفسير كتاب الله تعالى؛ ولذا اعتنى ببيان مفردات ألفاظ القرآن الكريم، وكان له في بيانها **طريقتان**:

ـ **الطريقة الأولى**: بيان معاني جميع كلمات الآية القرآنية وقد سلكها في تفسيره «الإلمام ببعض آيات الأحكام» مقرر المعاهد العلمية.

ـ **الطريقة الثانية**: بيان معاني الكلمات التي تحتاج إلى بيان وهذا عمله في سائر تفسيره [2].

وهو ما اعتمدت عليه في بحثي هذا؛ لإبراز منهج الشيخ، رحمه الله تعالى، في تفسير غريب القرآن.

(١) انظر: بحوث في أصول التفسير ومناهجه ص ١٢٥ـ١٢٦.

(٢) راجع: جهود الشيخ ابن عثيمين وآراؤه في التفسير... ص ٢٥٩ـ٢٦٠.

الدراسة المنهجية

منهج الشيخ محمد العثيمين في تفسير غريب القرآن

وفيه خمسة عشر مبحثاً:

- **المبحث الأول**: بيان المعنى بالاعتماد على القرآن الكريم.
- **المبحث الثاني**: بيان المعنى بالاعتماد على السنة.
- **المبحث الثالث**: بيان المعنى والاستشهاد له بالشعر.
- **المبحث الرابع**: بيان معنى الكلمة في السياق القرآني.
- **المبحث الخامس**: بيان معنى الكلمة في اللغة والشرع.
- **المبحث السادس**: بيان معنى الكلمة وتعليله.
- **المبحث السابع**: بيان وجوه الكلمة ونظائرها.
- **المبحث الثامن**: تفسير الكلمة بما يضادها أو يقابلها.
- **المبحث التاسع**: بيان أصل الكلمة واشتقاقها.
- **المبحث العاشر**: بيان المعنى وتوضيحه بالأمثلة.
- **المبحث الحادي عشر**: إيراد معنى الكلمة ثم تقسيمها أو تنويعها.
- **المبحث الثاني عشر**: بيان معنى الكلمة بمراعاة تصريفاتها اللغوية.
- **المبحث الثالث عشر**: بيان معنى الكلمة ونسبته إلى العلماء.
- **المبحث الرابع عشر**: تفسير الكلمة بالإحالة إلى ما هو معروف.
- **المبحث الخامس عشر**: الاعتماد في بيان المعنى على بعض القواعد.

المبحث الأول

بيان المعنى بالاعتماد على القرآن الكريم

وهذا من تفسير القرآن بالقرآن وهو أحسن طرق التفسير وأصحها، وهو أيضاً أجل أنواع التفسير وأشرفها؛ لأنه تفسير لكلام الله تعالى، بكلام الله، سبحانه، ولا أحد أعلم بمراد الله من الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ (آل عمران: ٧).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية [١]، رحمه الله تعالى: «إن أصح الطريق في ذلك ـ أي التفسير ـ أن يفسر القرآن بالقرآن؛ فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر، وما اختصر في مكان، فإنه قد بسط في موضع آخر» [٢].

وقد أدرك الشيخ ابن عثيمين، رحمه الله تعالى، أهمية هذا النوع من التفسير؛ ولذا اعتمد عليه، واعتنى به في تفسيره للقرآن ومن ذلك تفسير ألفاظ القرآن وبيان معانيها؛ ولذا قال، رحمه الله تعالى: «يرجع في تفسير القرآن **إلى ما يلي**:

أولاً: كلام الله تعالى، فيفسر القرآن بالقرآن؛ لأن الله تعالى، هو الذي أنزله، وهو أعلم بما أراده به». **ثم ذكر لذلك أمثلة** [٣].

وإن من أبرز ملامح منهج الشيخ ابن عثيمين، رحمه الله تعالى، في تفسير غريب القرآن اعتماده على القرآن في تفسيره وإيضاح معانيه، ويتجلى ذلك **فيما يلي**:

(١) الإمام وشيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، ولد سنة ٦٦١ وتوفي سنة ٧٢٨هـ (انظر: الدرر الكامنة ١/ ١٥٤ البدر الطالع ١/ ٦٣، الأعلام ١/ ١٤٤)

(٢) مقدمة التفسير بشرح ابن عثيمين ص ١٢٧.

(٣) انظر: أصول في التفسير ص ٣٨ـ٣٩.

*** أولاً: تفسير كلمة بكلمة أشهر منها:**

فيفسر كلمة غريبة في القرآن بكلمة وردت في القرآن أيضاً ولكنها أشهر منها تداولاً، وأظهر معنىً.[1]

ومن أمثلة ذلك:

١ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ (البقرة: ١٧٠)، قال رحمه الله تعالى: ﴿أَلْفَيْنَا﴾ أي: وجدنا. كما قال الله تعالى، في آية أخرى: ﴿قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ (لقمان: ٢١).

والقرآن يفسر بعضه بعضاً[2]. ففسر كلمة: ألفينا؛ بكلمة: وجدنا[3].

٢ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ (ق: ٣٨).

قال رحمه الله تعالى: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ أي: ما مسنا من تعب وإعياء. وهذا كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ﴾ (الأحقاف: ٣٣)... إلخ.[3]

ففسر كلمة: لغوب؛ بكلمة: يعي، أي: التعب والإعياء[4].

*** ثانياً: يبين معنى الكلمة ثم يستدل عليه بالقرآن: ومن أمثلته:**

١ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ﴾ (الطور: ١٧)، قال رحمه الله تعالى: وجنات: جمع جنة، وهي الدار التي أعدها الله تعالى للمتقين في

(١) انظر: جهود الشيخ ابن عيثمين وآراؤه في التفسير... ص ١٨٢، فصول في أصول التفسير ص ٢٥.
(٢) انظر: عمدة الحفاظ ٤/ ٣٨، والمفردات ص ٤٥٢.
(٣) تفسير سورة الحجرات إلى الحديد ص ١١٠.
(٤) انظر: عمدة الحفاظ ٤/ ٣٣.

الآخرة، بدليل قول الله، تبارك وتعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٣).[١]

٢ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ﴾ (الرحمن: ٧)، قال رحمه الله تعالى: أي: وضع العدل، والدليل على أن المراد بالميزان ـ هنا ـ العدل، قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ ...﴾ (الحديد: ٢٥)، يعني: العدل[٢]. وليس المراد بالميزان هنا: الميزان ذا الكفتين المعروف، ولكن المراد بالميزان العدل[٣].

٣ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿... وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ (الحديد: ١٤)، قال ~ : الغرور: هو الشيطان، ودليل هذا قول ـ الله تعالى ـ عنه حين وسوس إلى أبوينا قال الله عنه: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖ ...﴾ (الأعراف: ٢٢)، فالغرور هو الشيطان[٤].

وهكذا يمضي الشيخ، رحمه الله تعالى، في بيان معاني ألفاظ القرآن معتمداً على القرآن، مقدماً له على غيره، والأمثلة في هذا كثيرة غير ما ذكر.

وإن مما يلحظ على منهج الشيخ، رحمه الله تعالى، أنه ربما يفسر اللفظة في آية، ثم يذكر آية أخرى وردت فيها اللفظة نفسها ثم يفسرها أيضاً. **ومن أمثلة ذلك:**

١ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ﴾ (الصافات: ١٥١)، قال، رحمه الله تعالى، قوله: ﴿مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ﴾ أي: كذبهم؛ لأن الإفك هو الكذب، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡ...﴾ (النور: ١١)، أي: بالكذب.[٥]

(١) تفسير سورة الحجرات إلى الحديد ص ١٨٣.
(٢) انظر تفسير ابن كثير ١٣/ ٣١٤.
(٣) تفسير سورة الرحمن ص ٣٠٣ـ٣٠٤.
(٤) تفسير سورة الحجرات إلى الحديد ص ٣٨٩، وانظر تفسير ابن كثير ١٣/ ٤٢٠.
(٥) تفسير سورة الصافات ص ٣٢١، وانظر: عمدة الحفاظ ١/ ١٠٧.

٢ـ عند تفسير قوله، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ (العاديات: ٨)، قال ~ : الخير هو المال، كما قال الله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ ﴾ (البقرة: ١٨٠)، أي: إن ترك مالاً كثيراً. فالخير هو المال، والإنسان حبه للمال أمر ظاهر، قال الله تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ (الفجر: ٢٠)، ولا تكاد تجد أحداً يسلم من الحب الشديد للمال.[1]

(١) تفسير جزء عم ص ٢٩٧ـ٢٩٨، وانظر: المفردات ص ١٦٠.

المبحث الثاني

بيان المعنى بالاعتماد على السنة

وهذا من تفسير القرآن بالسنة؛ والسنة تعتبر بياناً وإيضاحاً للقرآن الكريم إضافة إلى استقلالها ببيان بعض الأحكام والتشريع كما قال الله تعالى: ﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (النحل: ٤٤).

وفي الحديث قال رسول الله ﷺ: «**ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه**»[١] ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ : «فإن أعياك ذلك ـ يعني تفسير القرآن بالقرآن ـ فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له»[٢] ولهذه الأهمية والمكانة للسنة النبوية في تفسير القرآن نجد أن الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله تعالى ـ قد اعتنى بها في تفسيره للقرآن، واعتمد عليها ولا سيما في تفسير مفردات القرآن الكريم، وقد بين هذه المنزلة للسنة في التفسير في بيانه للمرجع في التفسير في كتابه «أصول في التفسير» حيث قال ـ بعدما بين المرجع الأول وهو القرآن ـ قال: «ثانياً: كلام رسول الله ﷺ، فيفسر القرآن بالسنة؛ لأن رسول الله ﷺ مبلغ عن الله ـ تعالى ـ فهو أعلم الناس بمراد الله ـ تعالى ـ بكلامه» ثم ذكر أمثلة لذلك.[٣]

وقال ـ أيضاً ـ: «والسنة تبين القرآن كما قال الله تعالى: ﴿ .. وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ... ﴾ (النحل: ٤٤)، والتبيين يشمل:

(١) أخرجه أبو داود في السنة ـ ك: السنة. باب: في لزوم السنة ٤/ ٢٠٠ رقم ٤٦٠٤ من حديث المقدام بين معد يكرب، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٣/ ٨٧٠/ ٣٨٤٨

(٢) مقدمة التفسير بشرح ابن عثيمين ص ١٢٧.

(٣) انظر: أصول في التفسير ص ٣٩.

تبيين اللفظ وتبيين المعنى».[1]

وبتتبع منهج الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسيره نجد أنه ~ قد التزم هذا المنهج، ومن ذلك تفسير غريب القرآن بالسنة النبوية، ويظهر هذا فيما يلي:

أولاً: يبين المعنى ثم يستدل عليه من السنة:

ومن أمثلته:

١ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (الحديد: ١٨)، قال ـ رحمه الله تعالى ـ: أي ثواب كريم والكريم: هو الحسن الطيب، وذلك أن الجنة فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وأصل الكرم: الحسن. ودليل ذلك قول النبي ﷺ لمعاذ بن جبل[2] > لما بعثه إلى اليمن: «**إياك وكرائم أموالهم**»[3] يعني: إذا أخذت الزكاة اجتنب كرائم الأموال يعني: أحاسنه..[4].

٢ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾ (الذاريات: ٥٩)، قال ـ رحمه الله تعالى ـ: الذنوب في الأصل هو الدلو، أو ما يستقى

(١) تفسير سورة البقرة ٢/ ٤٠٦

(٢) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري، الخزرجي، أبو عبدالرحمن، الإمام المقدم في علم الحلال والحرام، شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ كان عمره عند إسلامه ١٨ سنة، وتوفي في طاعون عمواس سنة ١٨هـ (انظر: أسد الغابة ٥/ ٢٠٤، الإصابة ٩/ ٢١٩، الطبقات الكبرى ٣/ ٤٣٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الزكاة ـ باب: أخذ الصدقة من الأغنياء.. رقم ١٤٩٦ (الفتح ٣/ ٤١٨) ومسلم في صحيحه ـ كتاب: الإيمان، باب: الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ١/ ٥٠ رقم ٢٩ (١٩).

(٤) تفسير سورة الحجرات إلى الحديد ص٣٩٤، وانظر: المفردات ص ٤٢٨ـ ٤٢٩، وعمدة الحفاظ ٣/ ٤٥٥ـ ٤٥٦.

به. وشاهد ذلك قول النبي ﷺ: «**أريقوا على بوله ذنوباً من ماء**»[1] والمعنى: هؤلاء الظالمون لهم نصيب مثل نصيب من سبقهم.[2]

ثانياً: يبين معنى الكلمة ثم يزيده توضيحاً من السنة. وهذا تكرر كثيراً ومن أمثلته:

١ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾ (يس: ٤٣)، قال ~ : الصريخ: بمعنى المغيث، وسمي المغيث صريخاً؛ لأن عادة الإنسان إذا هاجمه أحد صرخ يستغيث، ومنه حديث غزوة بدر أن أبا سفيان [3] بعث صارخاً إلى أهل مكة يستغيثهم[4]...»[5]

٢ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ (ق: ١٩)، قال ـ رحمه الله تعالى ـ : السكرة هنا: هي تغطية العقل كالإغماء ونحوه. وقد قال النبي ﷺ: «**إن للموت سكرات**»[6] وقوله: ﴿سَكْرَةُ الْمَوْتِ﴾ مفرد مضاف، فيشمل الواحدة أو أكثر وقوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي أن الموت حق كما جاء في الحديث: «**الموت حق، والجنة حق، والنار حق**»[7].[8]

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب: الوضوء ـ باب: صب الماء على البول في المسجد حديث رقم ٢٢٠ (الفتح ١/ ٣٨٦)، ومسلم في صحيحه ـ كتاب: الطهارة ـ باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات ١/ ٢٣٦ رقم ٩٩ (٢٨٤).

(٢) تفسير الحجرات إلى الحديد ص ١٧٠، وانظر عمدة الحفاظ ٢/ ٤٩.

(٣) أبو سفيان: صخر بن حرب بن أمية بن عبدشمس بن عبد مناف، أبو سفيان القرشي الأموي، مشهور بكنيته، كان رأس المشركين يوم أحد ويوم الخندق، ثم أسلم ليلة الفتح، ثم حسن إسلامه. توفي سنة ٣١هـ (انظر: أسد الغابة ٣/ ١٠، الإصابة ٥/ ١٢٧، الاستيعاب ٥/ ١١٧)

(٤) هذه رواية بالمعنى، والرواية موجودة في السير، وانظر: زاد المعاد ٣/ ١٧٢، وسيرة ابن هشام ٢/ ١٨٢ـ١٨٤.

(٥) تفسير سورة يس، ص ١٥٧، وانظر: عمدة الحفاظ ٢ / ٣٨٢.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب: الرقائق، باب: سكرات الموت رقم٦٥١٠ (الفتح١١ / ٣٦٩).

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: التهجد ـ باب: التهجد بالليل رقم ١١٢٠ (الفتح ٣/ ٥)، ومسلم في صحيحه ـ كتاب: صلاة المسافرين ـ باب الدعاء في صلاة الليل ١/ ٥٣٢ رقم ١٩٩ (٧٦٩). بنحوه.

(٨) تفسير سورة الحجرات إلى الحديد ص ٩٥، وانظر: عمدة الحفاظ ٢/ ٢٣٨.

٣ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾ (ق: ٣٢)، قال ـ رحمه الله تعالى ـ: ﴿حَفِيظٍ﴾ أي: حفيظ لما أمره الله به،وهذا كقول النبي ﷺ لعبد الله بن عباس[١] { : «**احفظ الله يحفظك**»[٢]... [٣]

ثالثاً: ربما فسر بالسنة مباشرة: ومن أمثلته:

عند قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم﴾ (الحجرات: ١٢)، قال: الغيبة فسرها النبي ﷺ بقوله: «**ذكرك أخاك بما يكره**»[٤] وهذا من تفسير الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهو أعلم الناس بمراد الله ـ تعالى ـ في كلامه.[٥]

وقد بين ـ رحمه الله تعالى ـ ذلك بالأمثلة التي أوردها في كتابه (أصول في التفسير) في بيان المرجع الثاني من مراجع التفسير وهو السنة؛ فليراجع[٦].

* ومما يُلحظ على منهج الشيخ ـ رحمه الله ـ في تفسير القرآن الكريم بالسنة عموماً وتفسير الغريب **خصوصاً ما يلي:**

١ـ أنه في الأعم الأغلب يذكر الشاهد من الحديث بنصه، كما في الأمثلة السابقة في هذا المبحث، وأحياناً يورده بمعناه،كما ظهر هذا عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ (الحديد: ٢٨)، قال ~ : أي نصيبين من رحمة الله؛ ولهذا

(١) عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب، ابن عم الرسول ﷺ، ومن أصحابه، الحبر، البحر، ترجمان القرآن، وفقيه العصر، وإمام أهل التفسير توفي سنة ٦٨هـ (انظر: أسد الغابة ٣/ ٢٩٥، الإصابة ٦/ ١٣٠، سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٣١).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ـ كتاب: صفة القيامة ـ باب: ٥٩، حديث رقم ٢٥١٦ ج٤ ص٥٧٥ وقال:هذا حديث حسن صحيح.

(٣) تفسير سورة الحجرات إلى الحديد ص ١٠٥ـ١٠٦، وانظر: فتح القدير ٥/ ١١٠.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب: البر والصلة ـ باب: تحريم الغيبة ٤/ ٢٠٠١ حديث رقم ٧٠ (٢٥٨٩).

(٥) تفسير سورة الحجرات إلى الحديد ص ٥١ـ٥٢، وانظر: فتح القدير ٥/ ٩٣.

(٦) انظر: أصول في التفسير ص ٣٩ـ٤٠.

مثل النبي ﷺ هذه الأمة بالنسبة لما قبلها كرجل استأجر أجراء منهم طائفة أول النهار إلى نصف النهار، وطائفة من نصف النهار إلى العصر، وطائفة من العصر إلى غروب الشمس[1]...[2]

٢ـ أنه في كثير من الأحيان لا يتعقب سند الحديث بتصحيح أو تضعيف وانظر بعض الأمثلة السابقة، وأحياناً يحكم عليه، ومن ذلك عند قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴾ (يس: ٦٢)، قال ـ رحمه الله ـ ﴿جِبِلًّا﴾ أي: خلقاً كثيراً، ولا يعني ذلك أن الأكثر لم يضل من قبل الشيطان، بل هو أضل أكثر الخلق لأنه ثبت في الحديث الصحيح «**أن الله يوم القيامة يقول: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، فيقول: أخرج من ذريتك بعثاً إلى النار**». الحديث [3].[4]

٣ـ أنه ـ ربما ـ أطلق مصطلح الأثر على الحديث[5] ومن ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴾ (البروج: ١٥)، قال ـ رحمه الله تعالى ـ ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾: أي: صاحب العرش، والعرش هو الذي استوى عليه الله ـ عز وجل ـ وهو أعظم المخلوقات وأكبرها وأوسعها وقد جاء في الأثر «أن السموات السبع والأراضين

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب: مواقيت الصلاة ـ باب: من أدرك ركعةً من العصر قبل الغروب، حديث رقم ٥٥٨، والحديث أورده الشيخ هنا بالمعنى.

(٢) تفسير سورة الحجرات إلى الحديد ص ٤٣٠، وانظر: عمدة الحفاظ ٣/ ٤٨١ ـ ٤٨٢.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب: التفسير ـ باب: (وترى الناس سكارى) حديث رقم٤٧٤١ (الفتح ٨/ ٢٩٥).

(٤) تفسير سورة يس ص ٢٢١ـ٢٢٢، وانظر: عمدة الحفاظ ١/ ٣٤٩ ـ ٣٥٠.

(٥) الأثر: للعلماء في تعريفه قولان:

أحدهما: أنه مرادف للحديث: أي أن معناهما واحد اصطلاحا فيطلق أحدهما على الآخر، أي: ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو وصف.

والآخر: أنه مغاير للحديث،وهو ما أضيف إلى الصحابة والتابعيين من أقوال أو أفعال، (تيسير مصطلح الحديث ص ١٥ـ١٦) والأول هو المعتمد عند المحدثين لأنه مأخوذ من أثرت الحديث أي رويته.وراجع كتاب منهج النقد في علوم الحديث ص ٢٨ـ٢٩

السبع بالنسبة إلى الكرسي كحلقة ألقيت في فلاة من الأرض، وإن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على هذه الحلقة...»[1]. [2]

٤ـ أنه في الأعم الأغلب لا يذكر من روى الحديث من الصحابة أو من خرجه من أصحاب الكتب، والأمثلة على هذا كثيرة جداً، ومنها الأمثلة السابقة التي أوردناها في هذا المبحث.

(١) أخرجه ابن جرير ٤/ ٥٣٩ بنحوه، وأخرجه أبو الشيخ في كتاب العظمة ٢/ ٥٦٩ / رقم ٢٠٦، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٣/ ١٩٠ وعزاه إلى ابن جرير، وأبي الشيخ في العظمة وابن مردويه والبيهقي في «الأسماء والصفات»، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ١/ ١٧٣/ ١٠٩ من طريق أبي ذر.

(٢) تفسير جزء عم ص ١٤٠.

المبحث الثالث

بيان المعنى والاستشهاد له بالشعر

للشعر أهمية كبيرة في تفسير القرآن الكريم ولا سيما غريب القرآن؛ ولذا روى عكرمة[1] عن ابن عباس { أنه قال: «إذا سألتموني عن غريب اللغة فالتمسوه في الشعر؛ فإن الشعر ديوان العرب..» [2] وقال ـ أيضاً ـ: «الشعر ديوان العرب، فإذا أخفي عليهم الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغتهم، رجعوا إلى ديوانهم؛ فالتمسوا معرفة ذلك...»[3].

وإدراكاً لهذه الأهمية؛ فقد اعتنى الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله تعالى ـ بالرجوع إلى الشعر العربي للاستشهاد به في تفسيره للقرآن ومن ذلك بيان غريب القرآن، **وفيما يلي بعض الأمثلة على ذلك:**

١ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ**..﴾ الآية.. (النساء: ١٧)، قال ـ رحمه الله تعالى ـ: ﴿**بِجَهَالَةٍ**﴾ والمراد بالجهالة هنا: السفاهة وليس الجهل؛ لأن فاعل السوء بجهل مغرور.. ولكن المراد بالجهالة هنا: السفاهة، ومنه قول الشاعر [4]:

---

(١) عكرمة بن عبدالله، أبو عبدالله، مولى ابن عباس، العلامة، الحافظ، المفسر، ولد سنة ٢٥هـ وتوفي ١٠٥هـ (انظر: سير أعلام النبلاء ٥/ ١٢، وفيات الأعيان ٣/ ٢٦٥، طبقات المفسرين ١/ ٣٨٦).

(٢) البرهان في علوم القرآن ١/ ٢٩٣، والأثر أورده البيهقي في شعب الإيمان بنحوه ـ باب في طلب العلم ٢/ ٢٥٨ رقم ١٦٨٣.

(٣) البرهان في علوم القرآن ١/ ٢٩٤،والأثر أورده الحاكم في المستدرك بنحوه كتاب التفسير ـ تفسير سورة الحاقة ٢/ ٥٤٢ رقم ٣٨٤٥ وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

(٤) هو عمرو بن كلثوم، وانظر البيت في ديوانه ص ٦٢.

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا[1]

٢ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ** ﴾ (الذاريات: ٥٨)، قال ـ رحمه الله تعالى ـ: أي صاحب القوة التي لا قوة تضادها. كما قال الشاعر الجاهلي[2]:

أين المفر والإله الطالب والأشرم المغلوب ليس الغالب

فقوة الله ـ عز وجل ـ لا يضاهيها قوة..[3]

٣ـ عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿ **أَزِفَتْ الآزِفَةُ** ﴾(النجم: ٥٧)، قال ~ : ﴿**أَزِفَتْ الآزِفَةُ** ﴾ أي: قربت القيامة، ومنه قول الشاعر[4]:

أزف الترحل غير أن ركابنا لما تزل برحالنا وكأن قد

فالآزفة هي القيامة، لأن الساعة قريب... إلخ[5]

٤ـ عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿**وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ** ﴾ (الرحمن: ٢٤)، قال ـ رحمه الله تعالى ـ : ﴿**كَالأَعْلامِ**﴾ تشبيه، والأعلام: جمع علم وهو الجبل. كما قال الشاعر[6]:

---

(١) تفسير سورة النساء ١/ ١٣٧، وانظر عمدة الحفاظ ١/ ٤٠٧ـ٤٠٨.

(٢) هو نفيل بن حبيب الخثعمي شاعر جاهلي، كان دليل أبرهة إلى الحرم، وانظر البيت في سيرة ابن هشام ١/ ٤٧،وانظر ترجمة نفيل في معجم الشعراء ٦/ ٥٥، وانظر البيت أيضاً في كتاب الحيوان للجاحظ ٧/ ١٩٨.

(٣) تفسير سورة الحجرات إلى الحديد ص١٦٩.

(٤) هو: النابغة الذبياني، زياد بن معاوية بن ضباب، وقد أورده بهذا اللفظ الجاحظ في البيان والتبيين ٢/ ٢٠٧، والقرطبي في الجامع ١٧/ ١٢٢، وانظر ديوانه ص ١٤٣، وفيه: أفد الترحل، بدلاً من: أزف الترحل...

(٥) تفسير الحجرات إلى الحديد ص ٢٥٥ـ٢٥٦، وانظر: عمدة الحفاظ ١/ ٩٧، وتفسير القرطبي ١٧/ ١٢٢.

(٦) هي الخنساء تماضر بنت عمرو، وانظر ديوان الخنساء ص ٦٩.

وإن صخراً لتأتم الهـــداة بـــه كأنـــه علـــم في رأســـه نـــار

كأنه جبل، ومن شاهد السفن في البحار رأى أن هذا التشبيه منطبق تماماً عليها، فهي كالجبال تسير في البحر بأمر الله ـ عز وجل ـ[1] والأمثلة كثيرة.

ومما يُلحظ على منهج الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ في الاستشهاد بالشعر أمران:

الأول: أنه لا يذكر اسم القائل في الغالب، كما مر في الأمثلة السابقة، وربما يذكره أحياناً، وانظر ما قاله في تفسير سورة النساء ١/ ٣٣٢، وتفسير سورة الصافات ص ٩٤.

ثانياً: أنه ربما يكرر الاستشهاد بالبيت نفسه في عدة مواضع، ومن ذلك عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿ **بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾[2] قال ـ رحمه الله تعالى ـ في قوله ـ تعالى ـ ﴿**بَدِيعُ**﴾: فعيل بمعنى مُفْعِل أي: مُبْدِع، ولها نظير في اللغة العربية، مثل قول الشاعر[3]:

أمن[4] ريحـانة الداعي السميع يؤرقـــني وأصحـابي هجـــوع

فالسميع بمعنى المسمع.[5] تكرر هذا في مواضع: هذا الموضع،وعند تفسير سورة آل عمران الآية (٦)[6]، وتفسير سورة يس الآية (١٨) [7].

---

(١) تفسير الحجرات إلى الحديد ص٣١٠، وانظر: عمدة الحفاظ ٣/ ١٣٦، وتفسير القرطبي ١٧/ ١٦٤.

(٢) سورة البقرة: الآية ١١٧.

(٣) هو عمرو بن معد يكرب، وانظر ديوانه ص ١٢٨.

(٤) هكذا في الديوان وفي تفسير آل عمران، بينما في هذا الموطن وفي تفسير سورة يس «أم الريحانة "، وهذا خطأ مطبعي والصحيح ما أثبت؛ لأنه الموافق لما في الديوان، ولما في تفسير سورة آل عمران ١/ ٢٥، ولما في عمدة الحفاظ ٢/ ٢٥٤، ومعاني القرآن للزجاج ١/ ٨٣.

(٥) تفسير سورة البقرة ٢/ ١٦.

(٦) تفسير سورة آل عمران ١/ ٢٥.

(٧) تفسير سورة يس ص ٦٦.

المبحث الرابع

بيان معنى الكلمة في السياق القرآني

والمقصود بهذا هو بيان الكلمة في الآية بما لا يخرجها عن سابقها ولاحقها كما قال مسلم بن يسار [1] ـ رحمه الله تعالى ـ : «**إذا حدثت عن الله تعالى فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده**» أ.هـ[2].

وقد بين ابن القيم [3] ـ رحمه الله تعالى ـ : أن السياق من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظره، وغالط في مناظرته. [4]

فبيان معنى الكلمة في السياق القرآني المقصود به: بيان مراد المتكلم بها في الآية؛ ولذا قال الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله تعالى ـ : «**ما دل عليه اللفظ باعتبار اللغة فهو معنى، وما كان مراداً للمتكلم فهو المراد**». [5]

والشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ سار على هذا المنهج في تفسير غريب القرآن؛ فيبين معنى الكلمة في اللغة ثم يبين المراد بها في الآية، والذي يُلحظ فيه النظم والموضوع. وإليك الأمثلة على ذلك:

١ـ عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَهُمْ جَنَّتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ (البقرة:

(١) مسلم بن يسار، الفقيه، القدوة، الزاهد، أبو عبدالله البصري، من فقهاء البصرة توفي ١٠٠هـ (انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٥١٠، البداية والنهاية ٩/ ١٨٦، تهذيب التهذيب ١٠/ ١٢٧).

(٢) أورده ابن كثير في مقدمة تفسيره ١/ ١٧.

(٣) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي، الدمشقي، شمس الدين، ابن قيم الجوزية، العلامة الكبير، والمجتهد المطلق، والمصنف المشهور،ولد سنة٦٩١، وتوفي سنة ٧٥١هـ.(انظر: الدرر الكامنة ٤/ ٢١،البدر الطالع ٢/ ١٤٣، الأعلام ٦/ ٥٦).

(٤) بدائع الفوائد ٢/ ٣٠١

(٥) تفسير سورة الصافات ص ١٠.

٢٥)، قال ـ رحمه الله تعالى ـ: الجنات: جمع جنة، وجمعت لاختلاف أنواعها وأسمائها وأحوالها، والأصل في معنى جنة أنها البساتين كثيرة الأشجار؛ لأنها تجن من فيها لكثرة أشجارها وأغصانها، والمراد بالجنة ـ التي ذكرها الله هنا ـ: دار النعيم التي أعدها الله ـ تعالى ـ للمتقين... (١)

٢ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٤٢)، قال ـ رحمه الله تعالى ـ: فالخطاب هنا لبني إسرائيل لأن السياق واحد. ومعنى قوله ﴿ تَلْبِسُوا۟ ﴾ أي: تخلطوا الحق حتى يلتبس ويشتبه على الناس.

والشيء الحق في اللغة: أي الثابت الذي لا يتزعزع، والباطل عكسه أي: الشيء الذاهب سدى الذي لا يثبت ولا يبقى. والمراد به هنا ـ الحق ـ: ما جاءت به الرسل من وحي الله ـ عز وجل ـ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ (الأنعام: ١١٥)، والباطل ما خالف ذلك.. (٢)

٣ـ عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (آل عمران: ٧)، قال ـ رحمه الله تعالى ـ: يذكر: أي لا يتعظ وينتفع بالقرآن إلا أولوا الألباب. أي: إلا أصحاب العقول؛ لأن الألباب: جمع لب، واللب هو العقل.

والمراد بالعقل ـ هنا ـ: عقل الإدراك الذي ضده الجنون، وعقل التصرف الذي ضده السفه، فالذي يتذكر بالقرآن هو الإنسان الذي أعطاه الله عقلاً يدرك به الأشياء، وأعطاه الله رشداً يحسن به التصرف... (٣)

٤ـ عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴾ (عبس: ١٩)، قال

(١) أحكام من القرآن الكريم: الفاتحة، والبقرة ص ١٢٩.
(٢) أحكام من القرآن الكريم: الفاتحة، البقرة ص ١٩٦ـ١٩٧، وانظر: عمدة الحفاظ ١/ ٢٢٩، ٥٠٣.
(٣) تفسير سورة آل عمران ١/ ٤٠ـ٤١، وانظر: المفردات ص ٤٤٦، وعمدة الحفاظ ٤/ ٧.

ـ رحمه الله تعالى ـ قوله: ﴿ مِن نُّطْفَةٍ ﴾: والنطفة هي في الأصل: الماء القليل. والمراد به هنا: ماء الرجل الدافق الذي يخرج من بين الصلب والترائب يلقيه في رحم المرأة فتحمل...[1]

٥ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴾ (المطففين: ٧)، قال ـ رحمه الله تعالى ـ: ﴿ كَلَّا ﴾ إذا وردت في القرآن لها معان حسب السياق؛قد تكون حرف ردع وزجر، وقد تكون بمعنى حقاً، وقد يكون لها معان أخرى يعينها السياق؛ لأن الكلمات في اللغة العربية ليس لها معنى ذاتي لا تتجاوزه، بل كثير من الكلمات العربية لها معان تختلف بحسب سياق الكلام؛ في هذه الآية يقول الله ـ عز وجل ـ: ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴾ فتحتمل أن تكون بمعنى حقاً إن كتاب الفجار لفي سجين، أو تكون بمعنى الردع عن التكذيب بيوم الدين...[2]

(١) تفسير جزء عم ص ٦٥، وانظر: المفردات ص ٤٩٦، وعمدة الحفاظ ٤/ ٢١٩.
(٢) تفسير جزء عم ص ٩٧ـ٩٨.

المبحث الخامس

بيان معنى الكلمة في اللغة والشرع

إن مما سلكه الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسير بعض ألفاظ القرآن الكريم بيان المعنى اللغوي والمعنى الشرعي للكلمة، وذلك أن بعض الكلمات نقلها الشرع عن معناها اللغوي إلى معنى شرعي، فلا بد من بيان معناها اللغوي ثم بيان المعنى الشرعي، وهذا من أبرز ملامح منهج الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسير غريب القرآن، وقد نص ـ رحمه الله ـ على ذلك في بعض المواضع من تفسيره. **وإليك بعض الأمثلة:**

١) عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾ (البقرة: ١٧٧)، مما قال ـ رحمه الله تعالى ـ واعلم أن الصلاة من الكلمات التي نقلها الشارع عن معناها اللغوي إلى معنى شرعي؛ فمعناها في اللغة: الدعاء كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ (التوبة: ١٠٣)، أي: ادع لهم بالصلاة، فقل: صلى الله عليكم؛ ولكنها في الشرع: عبادة ذات أقوال وأفعال معلومة، مفتتحة بالتكبير، ومختتمة بالتسليم[١].

قوله تعالى: ﴿وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أي أعطى الزكاة مستحقيها، والزكاة أيضاً من الكلمات التي نقلها الشرع عن معناها اللغوي إلى معنى شرعي.

فالزكاة في اللغة: من زكا يزكو: أي نما وزاد، وبمعنى: الصلاح. ومنه قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ (الشمس: ٩)، أي: أصلحها وقومها.

لكن في الشرع: الزكاة: هي التعبد ببذل مال واجب في مال مخصوص لطائفة مخصوصة... [٢]

(١) تفسير سورة البقرة ٢/ ٢٧٨ وانظر: عمدة الحفاظ ٢/ ٤٠٥.

(٢) تفسير سورة البقرة ٢/ ٢٧٨، وانظر عمدة الحفاظ ٢/ ١٦١.

٢) عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ... ﴾ (البقرة: ٢١٨)، قال ـ رحمه الله تعالى ـ قوله تعالى ـ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ... ﴾ الإيمان في اللغة: التصديق قال ـ قال تعالى ـ عن إخوة يوسف قائلين لأبيهم: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾ (يوسف: ١٧). أما في الشرع: فهو التصديق المستلزم للقبول والإذعان [١].

قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ ...﴾ والهجر في اللغة: الترك ومنه (هجرت فلاناً) إذا لم تكلمه.وفي الشرع له معنيان: عام وخاص؛ فأما العام: فهو هجر ما حرم الله ـ عز وجل ـ كما قال النبي ﷺ «**المهاجر من هجر ما نهى الله عنه**».[٢] وأما الخاص: فهو أن يهجر الإنسان بلده ووطنه لله ورسوله.. إلى أن قال: والمراد بالهجرة في الآية ما يشمل المعنيين: العام والخاص.[٣]

٣) عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴾ (يس: ٥٥)، مما قال ـ رحمه الله تعالى ـ : الجنة في اللغة العربية: اسم للبستان الكثير الأشجار..

ومعناها شرعاً هي: الدار التي أعدها الله ـ سبحانه وتعالى ـ للمتقين؛ فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر[٤]. وهناك أمثلة كثيرة غير ما ذكر.

(١) تفسير سورة البقرة ٣/ ٦٢، وانظر: عمدة الحفاظ ١/ ١٣٩.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الإيمان: باب: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، حديث رقم١٠ (الفتح١ / ٦٩).

(٣) تفسير سورة البقرة ٣/ ٦٣، وانظر عمدة الحفاظ ٤/ ٢٧٩ـ٢٨٠.

(٤) تفسير سورة يس ص١٩٦ـ١٩٧، وانظر: عمدة الحفاظ ١/ ٤٠١.

المبحث السادس

بيان معنى الكلمة وتعليله

إن مما يظهر بوضوح في منهج الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسير ألفاظ القرآن الكريم الحرص على بيان العلة أو التعليل، ولعله تأثر في هذا المنهج بمنهج شيخه العلامة عبدالرحمن السعدي[1] ـ رحمه الله تعالى ـ في تدريسه بصفة عامة حيث كان له منهجية فريدة في التدريس تعتمد على الدليل والتعليل[2] ويتجلى منهج الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ هنا في صورتين:

الصورة الأولى: بيان المعنى ثم تعليله: ومن أمثلته:

١ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ (يس: ١٨)، قال ـ رحمه الله تعالى ـ: ﴿تَطَيَّرۡنَا﴾ أي تشاءمنا، وأصل التطير مأخوذ من الطير؛ لأن الناس يتشاءمون بالطيور أو يتفاءلون بها..[3]

٢ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابٗا﴾ (النبأ: ٢٢).

قال ـ رحمه الله تعالى ـ: والطاغون جمع طاغ، وهو الذي تجاوز الحد؛ لأن الطغيان مجاوزة الحد..[4]

٣ـ عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ﴾ (الانشقاق: ١٧).

---

(١) عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي، التميمي، العلامة، المفسر، الفقيه، صاحب التصانيف النافعة في شتى الفنون، وهو الشيخ الأول للشيخ ابن عثيمين ـ رحمهما الله تعالى ـ ولد سنة ١٣٠٧هـ وتوفي ١٣٧٦هـ. (انظر: الأعلام ٣/ ٣٤٠، ترجمته في مقدمة كتابه تيسير الكريم الرحمن ١/ ٥).

(٢) انظر: ١٤ عاماً مع سماحة العلامة محمد بن عثيمين ص ١٦.

(٣) تفسير سورة يس ص ٦٤، وانظر: عمدة الحفاظ ٢/ ٤٩٩.

(٤) تفسير جزء عم ص ٢٧، وانظر: عمدة الحفاظ ٢/ ٤٧٠.

قال ـ رحمه الله تعالى ـ: ﴿وَمَا وَسَقَ﴾: أي ما جمع؛ لأن الليل يجمع الوحوش والهوام وما أشبه ذلك؛ تجتمع وتخرج وتبرز من جحورها وبيوتها، وكذلك ربما يشير إلى اجتماع الناس بعضهم إلى بعض...[1]

الصورة الثانية: بيان وجه التسمية، أو تعليل الاسم بالنص على ذلك.

وهذا تكرر كثيراً ومن أمثلته:

١ـ عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ (البقرة: ٨٣)، قال ـ رحمه الله تعالى ـ: والميثاق هو العهد؛ وسمي ميثاقاً؛ لأنه توثقة بين المتعاهدين.[2]

٢ـ عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ (الصافات: ١٤٥)، قال ـ رحمه الله تعالى ـ: بالعراء: وجه الأرض، والمراد به: وجه الأرض الذي ليس فيه ما يظل من شجر ولا بناء، وسمي عراء لعروه عما يكسوه من الأشجار والبناء.[3]

٣ـ عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ (النجم: ٣٢)، قال ـ رحمه الله تعالى ـ: أجنة: جمع جنين، وهو الحمل، وسمي الحمل جنيناً؛ لأنه مستتر.[4]

٤ـ عند تفسير قوله ـ تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ﴾ (الطارق: ١١)، قال ـ رحمه الله تعالى ـ: الرجع هو المطر؛ يسمى رجعاً لأنه يرجع ويتكرر، ومعلوم أن المطر به حياة الأرض..[5]

---

(١) تفسير جزء عم ص ١١٦، وانظر: عمدة الحفاظ ٤/ ٣٥٨ـ٣٥٩، والمفردات ص ٥٢٣، وتذكرة الأريب ٢/ ٢٨٠.

(٢) أحكام من القرآن الكريم: الفاتحة ـ البقرة ص ٣٢١. وانظر: عمدة الحفاظ ٤/ ٣٢٥ـ٣٢٦.

(٣) تفسير سورة الصافات ص ٣٠٠. وانظر: عمدة الحفاظ ٣/ ٨٠، تذكرة الأريب ٢/ ١١٥.

(٤) تفسير الحجرات إلى الحديد ص ٢٣٦، وانظر: عمدة الحفاظ ١/ ٤٠٢.

(٨) تفسير جزء عم ص ١٥٥، وانظر: عمدة الحفاظ ٢/ ٧٩.

المبحث السابع

بيان وجوه الكلمة ونظائرها

يقول ابن الجوزي[1] ـ رحمه الله تعالى ـ: واعلم أن معنى الوجوه والنظائر أن تكون الكلمة واحدة، ذكرت في مواضع من القرآن على لفظ واحد، وحركة واحدة، وأريد بكل مكان معنى غير الآخر؛ فلفظ كل كلمة ذكرت في موضع نظير للفظ الكلمة المذكورة في الموضع الآخر، وتفسير كل كلمة بمعنى غير معنى الأخرى هو الوجوه.

فإذن النظائر: اسم للألفاظ، والوجوه: اسم للمعاني.[2] وقد جعل بعضهم ذلك من أنواع معجزات القرآن؛ حيث كانت الكلمة الواحدة تنصرف إلى عشرين وجهاً أو أكثر أو أقل، ولا يوجد ذلك في كلام البشر.[3] ومن خلال النظر في تفسير الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ لبعض الألفاظ تبرز عنايته بهذا النوع من التفسير المسمى بعلم الوجوه والنظائر، **ومن أمثلة ذلك:**

١ـ عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ (النساء: ٢٤)، مما قال ـ رحمه الله تعالى ـ: والإحصان يطلق على عدة معان: فيطلق على الحرائر، ويطلق على العفيفات، ويطلق على المتزوجات. وكل هذا جاء في القرآن:

قال الله تعالى في الأول: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ

(١) الإمام، الحافظ، المفسر، جمال الدين، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد، ينتهي نسبه إلى أبي بكر الصديق، فقيه، واعظ، صاحب تصانيف تزيد على ٣٤٠ مصنفاً، ولد سنة٥٠٩هـ ـ توفي سنة٥٩٧هـ. (انظر: سير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٦٥، وفيات الأعيان ٣/ ١٤٠)

(٢) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ص ٨٣، وانظر: بحوث في أصول التفسير ص ١٢٧.

(٣) انظر: البرهان في علوم القرآن ١/ ١٠٢.

ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم ﴾ (النساء: ٢٥)، فالمراد بالمحصنات هنا: الحرائر.

ومن الثاني: قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (النور: ٢٣)، والمراد بالمحصنات هنا: العفيفات عن الزنا.

ومن الثالث: أي المتزوجات هذه الآية: ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾[1].

٢ـ وعند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ (النساء: ٤١)، قال ـ رحمه الله ـ: أمة جاءت في القرآن الكريم لعدة معان:

المعنى الأول: الطائفة كهذه الآية، وكقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ ﴾ (القصص: ٢٣).

المعنى الثاني: الإمام[2]، كقوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا ﴾ (النحل: ١٢٠).

المعنى الثالث: الزمن؛ كقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ (يوسف: ٤٥)، أي: بعد زمن ومقداره بضع سنين...

المعنى الرابع: الدين؛ كقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾ (المؤمنون: ٥٢).[3]

---

(١) تفسير سورة النساء ١/ ١٩٧.

(٢) قال ـ هنا: (الإيمان) في المطبوع، بينما ذكر د/ أحمد البريدي صاحب كتاب (جهود الشيخ ابن عثيمين) أن المعنى: «الإمام « وذكر من ضمن مراجعه أن الكتاب بخط يد تلميذ الشيخ ابن عثيمين خالد حامد؛ فلعل الخطأ في المطبوع، ومما يؤكد ذلك أن كلمة « أمة» وردت في هذا المعنى بمعنى (الإمام) كما في كتاب الوجوه والنظائر ١/ ١٢٠؛ ولذا أثبتها هنا.

(٣) تفسير سورة النساء ١/ ٣٣٥، وانظر: الوجوه والنظائر ١/ ١٢٠.

٣ـ وعند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴾ (الذاريات: ٦)، مما قال ـ رحمه الله تعالى ـ : والدين يطلق أحياناً بمعنى الجزاء، وأحياناً بمعنى العمل، ففي قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ (الكافرون: ٦)، المراد به العمل. وفي قوله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ (الفاتحة: ٤)، المراد به الجزاء. وهنا ﴿ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴾ (الذاريات: ٦)، أي: الجزاء لا بد أن يقع؛ لأن الله على كل شيء قدير.[1]

ومما يُلحظ على منهج الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ في بيان وجوه الكلمة ونظائرها أنه لا يذكر جميع المعاني الواردة للكلمة التي ذكرها أصحاب علم الوجوه والنظائر، وإنما يذكر بعضها، وراجع الأمثلة السابقة.

(١) تفسير الحجرات إلى الحديد ص ١١٧، وانظر: وجوه القرآن الكريم ص ١٣٥ـ١٣٦، ونزهة الأعين النواظر ص ٢٩٧ـ٢٩٩.

المبحث الثامن

تفسير الكلمة بما يضادها أو يقابلها

من أبرز ملامح منهج الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ في بيان غريب القرآن؛ تفسير الكلمة بما يضادها أو يقابلها،وهذا منهج فيه دقة وضبط، وتقريب للمعنى، وتمييز له، وكما قيل: وبضدها تتميز الأشياء. ويتضح هذا المنهج في جهتين:

الجهة الأولى:

بيان معنى الكلمة بالنظر إلى ما يقابلها في نفس الآية. وقد نص على هذا ـ رحمه الله تعالى ـ حيث قال: وهذه قاعدة مفيدة في التفسير أنه ربما يخفى عليك بعض الكلمات فتنظر إلى ما يقابلها.[1] وإليك بعض الأمثلة:

١ـ عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ (النساء: ٣١)، مما قال: وقوله: ﴿كَبَآئِرَ﴾ جمع كبيرة.

وقوله ـ عز وجل ـ: ﴿سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ جمع سيئة، والمراد بها هنا: الصغيرة، والدليل على أن المراد بها الصغيرة أنها جاءت في مقابلة الكبائر في قوله: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾، وإلا فالأصل أن السيئة عامة للكبيرة والصغيرة، ومن بلاغة القرآن أن يعرف معنى الكلمة بذكر ما يقابلها... إلخ.[2]

٢ـ عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ﴾ (النساء: ٧١)، مما قال ـ رحمه الله تعالى ـ : وقوله: ﴿ثُبَاتٍ﴾ أي

(١) انظر: تفسير سورة النساء: ٢/ ٣٨٩.

(٢) تفسير سورة النساء: ١/ ٢٦١ـ٢٦٢.

متفرقين.

﴿أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا﴾ أي: مجتمعين. والذي دلنا على أن ﴿ثُبَاتٍ﴾ بمعنى: متفرقين قوله: ﴿أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا﴾ حيث قوبلت بهذا، ومقابل الشيء يكون ضده في المعنى...[1]

٣ـ عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ (النساء: ١٤٩)، مما قال ـ رحمه الله تعالى ـ: ﴿تُبْدُواْ﴾ أي: تظهروا، وعرفنا أن الإبداء بمعنى الإظهار من ذكر مقابله وهو قوله: ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ وهذه قاعدة مفيدة في التفسير؛ أنه ربما يخفى عليك معنى بعض الكلمات فتنظر إلى ما يقابلها، فقوله ـ تعالى ـ ﴿فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا﴾ لو أن أحداً سأل ما معنى: ﴿ثُبَاتٍ﴾ لعرفت معناها من ذكر مقابلها، وهو قوله: ﴿أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا﴾ فيكون معنى ﴿ثُبَاتٍ﴾ أي: فرادى...[2]

الجهة الثانية:

بيان الكلمة بأن يذكر هو ما يقابلها أو يضادها... وهذا تكرر كثيراً، ومن أمثلته:

١ـ عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ (الصافات: ٧٦)، قال ـ رحمه الله تعالى ـ: الكرب: ضد السعة، والإنسان المكروب هو الذي أصابه ما يكرب به، ولا شيء أعظم من كرب الموت...[3]

٢ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ (الصافات: ١٠٠)، قال

(١) تفسير سورة النساء ١/ ٥١٥ـ٥١٦، وانظر: عمدة الحفاظ ١/ ٣١٧.

(٢) تفسير سورة النساء ٢/ ٣٨٨ـ٣٨٩

(٣) تفسير سورة الصافات ص ١٧٨.

~ : الصالح: هو الذي صلح ظاهره وباطنه، ولزم من صلاحه أن يكون قائماً بحقوق الله ـ تعالى ـ وحقوق عباده وهو ضد الفاسد، وفساد كل شيء بحسبه، وصلاح كل شيء بحسبه؛ فصلاح الإنسان أن يكون مستعداً لما أمر به قائماً بأمر الله في حقوقه وحقوق عباده.(١)

٣ـ عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ (النجم: ٣٠)، قال: وقوله: ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ ضد الضلال؛ فالناس بين فئتين: إما مهتد وإما ضال..(٢)

(١) تفسير سورة الصافات ص ٢٢٣، وانظر: المفردات ص ٢٨٤.

(٢) تفسير سورة الحجرات إلى الحديد ص٢٢٧، وانظر: المفردات ص ٢٩٧.

المبحث التاسع

بيان أصل الكلمة واشتقاقها

وهذا مما اعتنى به الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ وسار عليه في بيان بعض الألفاظ وذلك لما له من الأهمية الكبيرة في إصابة المعنى الصحيح للكلمة، ومن أمثلته:

١ـ عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (البقرة: ٨)، قال ـ رحمه الله تعالى ـ: ﴿ٱلنَّاسِ﴾ أصلها: الأناس، لكن لكثرة الاستعمال حذفت الهمزة تخفيفاً؛ كما قالوا في (خير) و (شر) إن أصلها (أخير) و (أشر) لكن حذفت الهمزة تخفيفاً لكثرة الاستعمال، وسموا أناساً من الأنس؛ لأن بعضهم يأنس بعضاً ويركن إليه؛ ولهذا يقولون: الإنسان مدني بالطبع بمعنى: أنه يحب المدينة، يعني: الاجتماع، وعدم التفرق.(١)

٢ـ عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا ... ﴾ (البقرة: ٣٦)، قال ـ عن الشيطان ـ: من «شاط» بمعنى «غضب» أو من «شطن» بمعنى «بعد» والاشتقاق الأخير أصح، فالنون فيه أصلية، ولا شك أن الشيطان أبعد من يكون عن رحمة الله ـ عز وجل ـ..(٢)

٣ـ عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ (البقرة: ٢٥٥)، قال: ﴿ ٱللَّهُ ﴾ علم على الذات المقدسة، علم على الرب ـ عز وجل ـ وأصله: الإله، بمعنى المألوه، وحذفت الهمزة تخفيفاً كما حذفت الهمزة من «خير «و» شر»... وهو

(١) تفسير سورة البقرة ١/ ٣٩. وانظر: عمدة الحفاظ ١/ ١٤٦، وفتح القدير ١/ ٦٥.

(٢) أحكام من القرآن الكريم: الفاتحة ـ البقرة ص ١٧٢، وانظر: عمدة الحفاظ ٢/ ٣١٠ ـ ٣١١، وتفسير ابن كثير ١/ ١٧٦.

أعرف المعارف على الإطلاق، ومعناه: المعبود حباً وتعظيماً...[1]

٤ـ عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ ﴾ (يس: ٣٤)، قال: ﴿جَنَّاتٍ﴾ جمع جنة وهي البستان الكثير الأشجار؛ سمي بذلك لأنه يَجُن مَنْ دخله وكان فيه لاستتاره، وأصل هذه المادة ـ الجيم والنون ـ تدور على هذا المعنى: أي على الاستتار والخفاء، ومنه سمي القلب جَناناً؛ لاستتاره، ومنه سمي الجِنَّة لاستتارهم وخفائهم، ومنه سمي الجُنّة: الوقاية؛ لأن الإنسان يستتر بها؛ فكل المادة هذه تدل على الخفاء و الاستتار...[2]

(١) تفسير سورة آل عمران: ١/ ٥ـ٦، وانظر: عمدة الحفاظ ١/ ١١٧ ـ ١١٩، وتفسير ابن كثير ١/ ١٩٢ ـ ١٩٦.

(٢) تفسير سورة يس ص ١١٩، وانظر: معجم مقاييس اللغة ١/ ٢١٥ ـ ٢١٦ مادة «جنّ».

المبحث العاشر

بيان المعنى وتوضيحه بالأمثلة

وهذا من أهم الوسائل والأساليب في تقريب العلم وتوضيحه وترسيخه في أذهان المتعلمين، وقد سلك ـ رحمه الله تعالى ـ هذا المسلك في جميع دروسه ومنها التفسير، وقد بين ـ رحمه الله تعالى ـ أن هذا مما استفاده من شيخه ابن سعدي ـ رحمه الله تعالى ـ وأنه تأثر به في ذلك، حيث قال ـ رحمه الله تعالى ـ: «لقد تأثرت كثيراً بشيخي عبدالرحمن السعدي في طريقة التدريس وعرض العلم، وتقريبه للطلبة بالأمثلة والمعاني..»[1]

ومن العلوم التي اعتنى فيها ـ رحمه الله تعالى ـ بهذا المنهج تفسير غريب القرآن، وإليك أمثلة على ذلك:

١ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴾ (يس: ٥٦)، قال ـ رحمه الله تعالى ـ: ﴿الْأَرَائِكِ﴾: جمع الأريكة وهي السرير في الحَجَلة، أو الفراش فيها، ولكن الأكثر أنها السرير؛ والحَجَلة: عبارة عن بيت صغير في وسط البيت الكبير، أي: أنها بمنزلة الحجرة الخاصة بالمنام فيما نعرفه بيننا؛ فالدار ـ مثلاً ـ تشمل حجراً كثيرة متعددة، والحجرة الخاصة بالنوم هي مثل الحَجَلة: خيمة صغيرة تكون خاصة بالرجل وأهله، أو بالرجل وحده، أو بالمرأة وحدها.[2]

٢ـ عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴾ (يس: ٧٢)،

(١) انظر: ابن عثيمين الإمام الزاهد ص ٧٣، وانظر ما قاله عنه الدكتور عبدالله التركي في عرض أبرز ملامح منهج الشيخ ـ رحمه الله ـ وأن منها الاهتمام بالتطبيق والعناية بالأمثلة والتخريج. ابن عثيمين الإمام الزاهد ص ٦٩.
(٢) تفسير سورة يس ص ٢٠٠ـ٢٠١، وانظر: عمدة الحفاظ ١/ ٩٤.

قال الله تعالى: ﴿وَذَلَّلْنَٰهَا﴾ أي سخرناها وجعلناها ذليلة تنقاد لهم، وينتفعون بها كما يشاءون؛ ولهذا نجد الصبي الصغير يقود هذا الجمل الكبير وقد ذلل له، ويقوده حيث شاء، بل إن الإنسان يقود البعير الكبير الجسم إلى مكان نحره وينقاد معه، ثم قسم الله ـ عز وجل ـ وجوه الانتفاع فقال: ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ الركوب: فَعول بمعنى مركوب أي: فمنها ما يركبونه مثل الإبل ﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ مثل الغنم، ومنها ما يجمع بين الأكل والركوب مثل الإبل...[1]

٣ـ عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (يس: ٨٣).

مما قال ~ : سبحان معناها: التنزيه، أي: أن الله منزه عن النقص في صفاته، وعن مماثلة المخلوقين.

فمثلاً: ينزه أن يكون وجهه كوجه المخلوق، وينزه أن يعتري صفاته نقص بأي وجه؛ فمثلاً: العلم، علم البشر ناقص ابتداء، وانتهاء، وشمولاً.

ابتداء؛ لأنه مسبوق بالجهل، وانتهاء؛ لأنه ملحوق بالنسيان وشمولاً ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء: ٨٥)، لكن علم الله ـ عز وجل ـ كامل من هذه الوجوه كلها ابتداء وانتهاء وشمولاً...[2]

٤ـ عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ (الحجرات: ١١)، قال ـ رحمه الله تعالى ـ: اللمز: العيب.بأن تقول: فلان بليد، فلان طويل، فلان قصير، فلان أسود، فلان أحمر، وما أشبه ذلك مما يعد عيباً.[3]

(١) تفسير سورة يس ص ٢٧١. وانظر: فتح القدير ٤/ ٥٤٣.

(٢) تفسير سورة يس ص ٣١٠ـ٣١١، وانظر: عمدة الحفاظ ٢/ ١٨٩.

(٣) تفسير سورة الحجرات إلى الحديد ص ٤٠. وانظر: عمدة الحفاظ ٤/ ٤٦ ـ ٤٧، وفتح القدير ٢/ ٥٤٠.

المبحث الحادي عشر

إيراد معنى الكلمة ثم تقسيمها أو تنويعها

وهذا مما انتهجه الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ في دروسه ومؤلفاته؛ فهو يحرص على السبر والتقسيم، والتفصيل والتوضيح، وقد سار على هذا المنهج في بيان بعض الألفاظ، وتكرر منه هذا في تفسيره. وإليك بعض الأمثلة:

١ـ عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (البقرة: ٣٣)، قال ـ رحمه الله تعالى ـ: أي ما غاب فيهما، وهو نوعان: نسبي، وعام؛ فأما النسبي: فهو ما غاب عن بعض الخلق دون بعض.وأما العام: فهو ما غاب عن الخلق عموماً.(١)

٢ـ عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ (النساء: ١٣)، قال ـ رحمه الله تعالى ـ وقوله: ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ حدود: جمع حد. والحد: هو الشيء الفاصل بين شيئين، ومنه حدود الأرض يفصل بعضها عن بعض وحدود الله ـ عز وجل ـ تنقسم إلى قسمين: حدود واجبات، وحدود محرمات...(٢).

٣ـ عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾ (الصافات: ٢٣)، قال ـ رحمه الله تعالى ـ: صراط بمعنى طريق.

والصراط نوعان: صراط حسي: وهو ما تمشي عليه الأقدام، وصراط معنوي: وهو ما تمشي عليه القلوب؛ فمن استقام في الصراط المعنوي على دين الله استقام في

(١) تفسير سورة البقرة ١/ ١٢٣.

(٢) تفسير سورة النساء ١/ ١٠٨، وانظر: عمدة الحفاظ ١ / ٤٣٩.

الصراط الحسي يوم القيامة حتى يصل إلى الجنة..[1].

٤ـ عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ (الصافات: ٣٤)، قال ـ رحمه الله تعالى ـ وقوله: ﴿بِٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾: المجرم هو الذي اكتسب الجرم وهو الإثم؛ فكل مجرم فإن الله تعالى يفعل به هكذا، ولكن الجرم نوعان: جرم لا عمل صالح معه؛ فهذا يفعل به هكذا قطعاً وليس أهلاً للعفو. وجرم معه عمل صالح؛ فهذا تحت المشيئة إن شاء الله عذبه، وإن شاء غفر له...[2]

(١) تفسير سورة الصافات ص٥٨ـ٥٩.

(٢) تفسير سورة الصافات ص ٧٥.

المبحث الثاني عشر

بيان معنى الكلمة بمراعاة تصريفاتها اللغوية

وهذا مما يظهر جلياً في منهج الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسير ألفاظ القرآن الكريم، وهو مما يفيد ثراء في المعنى [1] ومن أمثلته:

١ـ عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (يس: ٤)، قال ـ رحمه الله تعالى ـ : الصراط: فعال بمعنى مفعول؛ لأن فعالاً تأتي بمعنى مفعول كثيراً؛ كقولهم: بناء، وغَراس، وفراش بمعنى: مبني، مغروس، مفروش.

فصراط فعال بمعنى مفعول أي: مصروط، والصراط: المرور بسرعة ومنه قولهم: «صرط اللقمة» أي ابتلعها بسرعة، وفي اللهجة العامية عندنا نقول: «زرط» وهي لغة عربية في صراط. و «سراط» بالسين، و «زراط» بالزاي، فكلها لغة عربية[2] والصراط لا يكون صراطاً إلا إذا كان طريقاً واسعاً يتحمل طوائف يعبرون عليه. قالوا: أيضاً من صفاته أن يكون مستوياً ليس فيه طلوع ولا نزول..[3]

٢ـ عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ ﴾ (القمر: ١)، قال ـ رحمه الله تعالى ـ: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ﴾ بمعنى قربت. لكن العلماء يقولون: إن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى. وهنا «**اقتربت**» فيها زيادة المبنى على «**قربت**» والزيادة: الهمزة والتاء؛ فيدل على أن القرب قريب جداً، فمعنى اقتربت: أي قربت جداً و ﴿ ٱلسَّاعَةُ ﴾ هي يوم القيامة.[4]

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن ١/ ٢٩٨.

(٢) جاء في لسان العرب: «سَرط الطعام والشيء ـ بالكسر ـ سَرَطاً، وسَرَطانا: بلَعه، واسترطه، وازدرده: ابتلعه...» ٦/ ٢٤٠ مادة: «سرط»، وانظر ٦/ ٣٦ مادة «زرط»، وانظر: عمدة الحفاظ ٢/ ٢١٩ ـ ٢٢٠، وفتح القدير ١/ ٣٦.

(٣) تفسير سورة يس ص ١٤.

(٤) تفسير سورة الحجرات إلى الحديد ص ٢٦١

٣ـ عند تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ﴾ (القمر: ٢٧)، مما قال ـ رحمه الله تعالى ـ: ﴿وَاصْطَبِرْ﴾ يعني: اصبر، وأصل «اصطبر» «استبر» بالتاء للمبالغة؛ لكن قلبت التاء طاء؛ لعلة تصريفية اقتضتها اللغة العربية، يعنى أن الله قال لرسولهم صالح عليه السلام ارتقب هؤلاء واصطبر فالنصر قريب.(١)

٤ـ عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ (القمر: ٤٢)، مما قال ـ رحمه الله تعالى ـ: ﴿مُّقْتَدِرٍ﴾ أي: قادر، ولكنها أبلغ من كلمة «قادر» لما فيها من زيادة الحروف.(٢)

٥ـ عند تفسير ـ قوله تعالى ـ: ﴿إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (البروج: ٨)، مما قال ـ رحمه الله تعالى ـ: وقوله: ﴿الْحَمِيدِ﴾ على وزن «فعيل» فيكون بمعنى «محمود» فالله ـ سبحانه وتعالى ـ محمود على كل حال....(٣)

٦ـ عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ (القارعة: ٦ – ٧)، مما قال ـ رحمه الله تعالى ـ: العيشة: مأخوذة من العيش وهو الحياة؛ يقال: عاش الرجل زمناً طويلاً، أي: بقي وحيي زمناً طويلاً، والعيشة ـ هنا ـ على وزن «فِعلة» فهي هيئة وليست مصدراً؛ المصدر الدال على الوحدة أن تقول: «عَيْشة». وأما إذا قلت: «عِيْشَة» فهي «فِعْلة» تدل على الهيئة...

﴿رَّاضِيَةٍ﴾ قيل: إنها اسم فاعل بمعنى اسم المفعول أي:مرضية وقيل: إنها اسم فاعل من باب النسبة أي ذات رضى؛ وكلا المعنيين واحد، والمعنى أنها عيشة طيبة ليس فيها نكد، وليس فيها صخب، وليس فيها نصب، كاملة من كل وجه، وهذا يعنى العيش في الجنة ـ جعلنا الله منهم ـ.(٤)

(١) تفسير سورة الحجرات إلى الحديد ص ٢٨٢، وانظر: تفسير القرطبي ١٧/ ١٤٠.
(٢) تفسير سورة الحجرات إلى الحديد ص ٢٨٩، وانظر: تفسير القرطبي ١٧/ ١٤٥.
(٣) تفسير جزء عم ص ١٢٧، وانظر: تفسير القرطبي ١٩ / ٢٩٤ ـ ٢٩٥.
(٤) تفسير جزء عم ص ٣٠٢، وانظر: تفسير القرطبي ٢٠/ ١٦٦ ـ ١٦٧.

المبحث الثالث عشر

بيان معنى الكلمة ونسبته إلى العلماء

من ملامح منهج الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ بيان معنى الكلمة ونسبته إلى العلماء؛ وهذه النسبة إما أن تكون إلى عموم العلماء أو أكثرهم، أو إلى أهل التخصص كالمفسرين، أو الفقهاء، أو الأصوليين أو الفلكيين أو غيرهم، وقد يسمي صاحب القول، وهذا من توثيق العلم ونسبته إلى أهله، وإحالة القول إلى قائله، **وإليك بيان ذلك:**

أولاً: نسبة القول إلى عموم العلماء أو أكثرهم. ومن أمثلته:

١ـ عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ﴾ (البقرة: ٧٥)، مما قال ـ رحمه الله تعالى ـ قوله: ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ﴾ قال أهل العلم: تحريف الكلم ينقسم إلى قسمين: أحدهما تحريف اللفظ، والثاني: تحريف المعنى...[1]

٢ـ عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ (يس: ٣٠)، قال ـ رحمه الله تعالى ـ: وقوله ﴿مِّن رَّسُولٍ﴾: الرسول ـ عند عامة أهل العلم ـ هو بشر أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه.[2]

٣ـ عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ (الذاريات: ٢٢)، مما قال ـ رحمه الله تعالى ـ ذهب كثير من أهل العلم أن المراد بالرزق هنا: المطر.[3]

ثانياً: نسبة القول إلى أهل التخصص. ومن أمثلته:

١ـ عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ (الذاريات: ١٠)، قال ـ الله تعالى ـ:

(١) أحكام من القرآن الكريم: الفاتحة ـ البقرة ص ٣٠٣

(٢) تفسير سورة يس ص ١٠٧.

(٣) تفسير سورة الحجرات إلى الحديد ص ١٣٠.

﴿قُتِلَ﴾ كثير من المفسرين يفسرها بلعن؛ واللعن: هو الطرد والإبعاد عن ~ .[1]

٢ـ عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ (البقرة: ٢٥٥)، قال ـ رحمه الله تعالى ـ: العلم عند الأصوليين: إدراك الشيء إدراكاً جازماً مطابقاً..[2]

٣ـ عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ (النبأ: ٧)، مما قال ـ رحمه الله تعالى ـ: أي جعلها الله ـ تعالى ـ أوتاداً للأرض بمنزلة الوتد للخيمة حيث يثبتها فتثبت به.

وهذه الأوتاد قال علماء الأرض: إن هذه الجبال لها جذور راسخة في الأرض كما يرسخ جذر الوتد بالجدار، أو وتد الخيمة في الأرض.[3]

٤ـ عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ (البروج: ١)، مما قال ـ رحمه الله تعالى ـ والبروج: جمع برج، وهو المجموعة العظيمة من النجوم؛ وسميت بروجاً لعلوها وارتفاعها وظهورها وبيانها، والبروج عند الفلكيين اثنا عشر برجاً..[4]

ثالثاً: نسبة القول إلى قائله تحديداً. ومن أمثلته:

ـ عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ (يس: ٢٢)، مما قال ـ رحمه الله تعالى ـ عن العبادة: وعلى هذا حدها شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ بأنها: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.[5]

ومما يلحظ على هذا المنهج أن الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ في الغالب لا يسمي صاحب القول، وإنما ينسبه إلى العلماء أو إلى أهل التخصص بالنص عليهم جملة.

(١) تفسير سورة الحجرات إلى الحديد ص ١٢١، وانظر: تفسير القرطبي ١٧/ ٣٣، وفتح القدير ٥/ ١١٨ـ١١٩.
(٢) تفسير سورة البقرة ٣/ ٢٥٣. وانظر: شرح الأصول من علم الأصول ص ٨٩.
(٣) تفسير جزء عم ص ٢٢. وانظر: كتاب «من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ـ مع آيات الله في السماء والأرض..» ص٥٠٣ـ٥٠٤.
(٤) تفسير جزء عم ص١٢٤ وجاء فيه «اثني عشر...» وهذا خطأ والصواب ما أثبت؛ لأنها خبر للبروج. وانظر: تفسير الرازي ١١/ ١٠٦.
(٥) تفسير سورة: يس ص ٧٥. وانظر: مجموع الفتاوى ١٠/ ١٤٩.

المبحث الرابع عشر

تفسير الكلمة بالإحالة إلى ما هو معروف

إن من أبرز ملامح منهج الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ في بيان معاني بعض الألفاظ الإحالة إلى ما هو معروف، والمقصود به: ما هو معروف عند العرب، وبخاصة وقت نزول القرآن الكريم، وله صورتان:

الصورة الأولى: الإحالة إلى ما هو معروف والاكتفاء بذلك. ومن أمثلته:

١ـ عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ (البقرة: ٢٦)، مما قال ـ رحمه الله تعالى ـ: البعوضة: واحدة البعوض وهو معروف.[١]

٢ـ عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ (عبس: ٢٧ ـ ٣١)، قال ~ : ﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾ أي: في الأرض ﴿حَبًّا﴾ كالبر والرز والذرة والشعير وغير ذلك من الحبوب الكثيرة. ﴿وَعِنَبًا﴾معروف ﴿وَقَضْبًا﴾ قيل: إنه القت المعروف الذي تأكله الدواب ﴿وَزَيْتُونًا﴾ معروف ﴿وَنَخْلًا﴾ معروف ﴿وَحَدَآئِقَ غُلْبًا﴾ حدائق: جمع حديقة، والغلب: كثير الأشجار ﴿وَفَٰكِهَةً﴾ يعنى ما يتفكه به الإنسان من أنواع الفواكه ﴿وَأَبًّا﴾ الأب: نبات معروف عند العرب ترعاه الإبل..[٢]

الصورة الثانية: الإشارة إلى أنه معروف ثم يبين معناه. ومن أمثلته:

١ـ عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ (النساء: ١٣)، قال ـ رحمه الله تعالى ـ: الجريان معروف: وهو سير الماء على الأرض.[٣]

(١) أحكام من القرآن الكريم: الفاتحة ـ البقرة ص ١٣٥.
(٢) تفسير جزء عم ص ٦٧.
(٣) تفسير سورة النساء ١/ ١١٢.

٢ـ عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴾ (الصافات: ٤٥)، قال: الكأس معروف، وهو الإناء بشرابه..[١]

٣ـ عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ ﴾ (الصافات: ٩١)، قال: أي: مال بخفية وانطلق بخفية، والروغان كما هو معروف: سرعة الإنسان لكن على وجه لا أحد يحس به.[٢]

٤ـ عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴾ (الواقعة: ٧٢)، قال: والجواب: بل أنت يا ربنا. وشجرة النار: هي شجر معروف في الحجاز، وربما يكون معروفاً في غيره؛ يسمى المرخ والعفار، وهذا الشجر له خاصية إذا ضرب بالمرو أو بشيء ينقدح مع المماسة اشتعل ناراً يوقد منه وهو معروف...[٣]

ومما ينبغي التنبيه عليه أن مقصود الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ بالمعروف أي أنه معروف لدى المخاطبين وقت نزول القرآن الكريم وهو المعتبر؛ ولذا رد ما قد يكون معروفاً عند المعاصرين، وليس معروفاً عند المتقدمين.

جاء ذلك عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ (الزلزلة: ٧ - ٨)، قال ـ رحمه الله تعالى ـ: ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ يعني وزن ذرة والمراد: صغار النمل كما هو معروف. وليس المراد بالذرة: الذرة المتعارف عليها اليوم كما ادعاه بعضهم [٤] ؛ لأن هذه الذرة المتعارف عليها اليوم ليست معروفة في ذلك الوقت، والله ـ عز وجل ـ لا يخاطب الناس إلا بما يفهمون وإنما ذكر الذرة؛ لأنها مضرب المثل في القلة كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ

(١) تفسير سورة الصافات ص ٩٩.

(٢) تفسير سورة الصافات ص ٢٠٠.

(٣) تفسير سورة الحجرات إلى الحديد ص ٣٤٤ـ٣٤٥.

(٤) انظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ـ القرآن والكون ـ ص ٣٩٩.

﴿ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا ..﴾ (النساء: ٤٠)، ومن المعلوم أن من عمل ولو أدنى من الذرة فإنه سوف يجده، لكن لما كانت الذرة مضرب المثل في القلة قال الله ـ تعالى ـ: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ﴾ (الزلزلة: ٧).[١]

وما أورده الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ هو الموافق لقاعدة من قواعد الترجيح عند المفسرين وهي: (أنه يجب حمل كلام الله ـ تعالى ـ على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر)[٢] ودون ما لم تستعمله العرب ألبتة ولم يرد في لسانها وقت نزول القرآن، كالاصطلاحات والمعاني الحادثة المستجدة والتي حدثت بعد عصر التنزيل...[٣]

(١) تفسير جزء عم ص ٢٩١.

(٢) مختصر قواعد الترجيح عند المفسرين ص ١٤٣ـ١٤٤.

(٣) انظر: مختصر قواعد الترجيح عند المفسرين ص ١٤٤.

المبحث الخامس عشر

الاعتماد في بيان المعنى على بعض القواعد

إن مما يعتني به الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ التأصيل العلمي، والاهتمام بالقواعد، والتأكيد على الضوابط في مختلف دروسه ومؤلفاته، ومنها التفسير؛ ولذا يبرز في منهجه في تفسير ألفاظ القرآن الكريم العناية بالقواعد التأصيلية[1]، ومن هذه القواعد:

القاعدة الأولى:

الأصل في النصوص حملها على ما هو معلوم ومفهوم حتى يقوم دليل على خلاف ذلك[2].

وجاءت هذه القاعدة عند تفسيره لقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ (البقرة: ٣٥)، حيث قال ـ رحمه الله تعالى ـ: **وزوجه**: هي حواء التي خلقها الله ـ تعالى ـ من ضلع آدم، فهي من أب بلا أم، والمراد بالجنة: إما جنة الخلد التي هي مأوى المتقين، وإما جنة في الدنيا: بستان ذو أشجار كثيرة، للعلماء في هذا قولان...

والأقرب ـ والله أعلم ـ أنها جنة المأوى، جنة الخلد التي وعد المتقون؛ لأنها هي المعلومة عند الإطلاق، والأصل أنه إذا كان للفظ معنى ومفهوم عند الإطلاق؛ فإنه يحمل عليه إلا بدليل على خلاف ذلك، وهذه القاعدة مفيدة في علم التفسير وغيره، أن الأصل في النصوص حملها على ما هو معلوم ومفهوم حتى يقوم دليل

(١) انظر: ابن عثيمين الإمام الزاهد ص ٦١.

(٢) انظر: أحكام من القرآن الكريم: الفاتحة، البقرة ص ١٦٨، وانظر: مختصر قواعد الترجيح عند المفسرين ص ٥٣.

على خلاف ذلك..[1]

القاعدة الثانية:

النكرة في سياق الشرط تفيد العموم.[2] ومن أمثلة هذه القاعدة:

ـ عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴾ (الصافات: ١٤)، قال ـ رحمه الله تعالى ـ: المراد بالآية: أي آية؛ لأنها جاءت نكرة في سياق الشرط، والنكرة في سياق الشرط تفيد العموم.[3]

القاعدة الثالثة:

إذا فسرنا النص القرآني أو النبوي بمعنى أخص، وفسرنا ه بمعنى أعم، فنأخذ بالأعم؛ لأن الأعم يدخل فيه الأخص..[4]

وجاءت هذه القاعدة عند تفسيره لقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ (الذاريات: ٢٢)، قال ـ رحمه الله تعالى ـ : الرزق: هو المطر كما في الآية الكريمة: ﴿ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ﴾ (غافر: ١٣)، ويمكن أن نقول: إن الرزق الذي في السماء أعم من ذلك؛ فقد يقال: إن في السماء رزقاً من المطر، وما كتب الله لنا في اللوح المحفوظ من المصالح والمنافع الجسدية من أموال وبنين وغير ذلك؛ فيكون هذا القول أشمل وأعم، واعلم أنه ينبغي أن يراعي المستدل بالقرآن والسنة قاعدة مفيدة وهي: إذا فسرنا النص القرآني أو النبوي بمعنى أخص، وفسرناه بمعنى أعم، فنأخذ بالأعم؛ لأن الأعم يدخل فيه الأخص ولا عكس إلا إذا دل دليل على أنه خاص، فهذا يتبع فيه الدليل؛ لكن عندما لا يدل الدليل فخذ بالأعم لأن الأعم

(١) أحكام من القرآن الكريم: الفاتحة ـ البقرة ص ١٦٨.

(٢) انظر: تفسير سورة الصافات ص ٤١، وانظر: قواعد التفسير ٢/ ٥٦٠.

(٣) انظر: تفسير سورة الحجرات إلى الحديد ص١٣١. وانظر: مختصر قواعد الترجيح عند المفسرين ص ٢٠٠.

(٤) تفسير سورة الحجرات إلى الحديد ص ١٣١ـ١٣٢.

يدخل فيه الأخص ولا عكس، فهنا إذا قلنا: المراد بالرزق ما هو أعم من المطر؛ فالجواب صحيح، فيدخل فيه المطر وغيره...[١]

ومن أمثلة هذه القاعدة ما أورده عند تفسير كلمة (**دسر**) من الآية رقم ١٣ من سورة القمر[٢]، وعند تفسير لفظتي(**فروح وريحان**) من الآية رقم ٨٩ من سورة الواقعة.[٣]

القاعدة الرابعة:

إذا كانت الآية تحتمل معنيين لا مرجح لأحدهما على الآخر ولا يتضادان فإنها تحمل عليهما جميعاً.[٤]

جاء هذا عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ﴾ (البروج: ١٠)، قال ـ رحمه الله تعالى ـ: قال العلماء: ﴿فَتَنُواْ﴾ بمعنى: أحرقوا، كما قال ـ تعالى ـ ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُواْ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ (الذاريات: ١٣ - ١٤)، فهؤلاء أحرقوا المؤمنين، وأحرقوا المؤمنات في النار، وقيل: فتنوهم: أي صدوهم عن دينهم.

والصحيح: أن الآية شاملة للمعنيين جميعاً؛ لأنه ينبغي أن نعلم أن القرآن الكريم معانيه أوسع من أفهامنا، وأنه مهما بلغنا من الذكاء والفطنة فلن نحيط به علماً، والقاعدة في علم التفسير أنه إذا كانت الآية تحتمل معنيين لا مرجح لأحدهما على الآخر ولا يتضادان فإنها تحمل عليهما جميعاً؛ فنقول: هم فتنوا المؤمنين بصدهم عن سبيل الله، وفتنوهم بالإحراق أيضاً.[٥]

(١) انظر: تفسير سورة الحجرات إلى الحديد ص ٢٧١.
(٢) تفسير سورة الحجرات إلى الحديد ص ٣٥٣.
(٣) انظر تفسير جزء عم ص١٣٠. وانظر: أصول في التفسير ص ٤٤.
(٤) تفسير جزء عم ص ١٣٠.
(٥) انظر: تفسير جزء عم ص ٣١٨ـ٣١٩. ومختصر قواعد الترجيح عند المفسرين ص ١٨٥.

القاعدة الخامسة:

إذا دار الأمر بين أن تكون الكلمة مع الأخرى بمعنى واحد أو لكل كلمة معنى؛ فإننا نجعل لكل واحدة معنى، ويصير هذا تأسيساً وتفريقاً بين الكلمتين.[1]

وجاءت هذه القاعدة عند تفسيره لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ (الهمزة: ١)، مما قال ـ رحمه الله تعالى ـ: والهمزة اللمزة: وصفان لموصوف واحد، فهل هما بمعنى واحد؟ أو يختلفان في المعنى؟

قال بعض العلماء: إنهما لفظان لمعنى واحد، يعني: أن الهمزة هو اللمزة.

وقال بعضهم:بل لكل واحد منهما معنى غير المعنى الآخر.

وثم قاعدة أحب أن أنبه عليها في التفسير وغير التفسير وهي:

أنه إذا دار الأمر بين أن تكون الكلمة مع الأخرى بمعنى واحد أو لكل كلمة معنى، فإننا نجعل لكل واحدة معنى؛ لأننا إذا جعلنا الكلمتين بمعنى واحد صار في هذا تكرار لا داعي له، لكن إذا جعلنا كل واحدة لها معنى صار هذا تأسيساً وتفريقاً بين الكلمتين، والصحيح في هذه الآية ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾، أن بينهما فرقاً، فالهمز بالفعل، واللمز باللسان.[2]

(١) سورة الهمزة: الآية ١.

(٢) تفسير جزء عم ص ٣١٨ـ٣١٩، وانظر: فتح القدير ٥/ ٧٠١.

الخاتمة

وبعد هذه الرحلة الممتعة التي عشنا فيها في رحاب منهج هذا العالم الجليل والمفسر الكبير، الإمام العلامة محمد بن صالح العثيمين ـ رحمه الله تعالى ـ يجدر بنا إيراد بعض النتائج التي تم التوصل إليها من خلال هذا البحث في منهج الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسير غريب القرآن، وهي تشمل **أهم النتائج والتوصيات:**

أولاً: أهم النتائج

١ـ أن الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ سلفي في عقيدته ومنهجه؛ فهو يسير على منهج السلف الصالح في التأصيل والتوثيق والاعتماد على الدليل من الكتاب والسنة، مع اعتبار أقوال علماء الأمة الموثوقين.

٢ـ أن الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ من العلماء الموسوعيين الذين جمعوا شتى الفنون برسوخ وإتقان وتمكن؛ فهو مفسر، وفقيه، ومحدث، ولغوي، وأصولي...إلخ.

٣ـ عناية الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ بتفسير غريب القرآن الكريم، وهو أهم ما يجب أن يبدأ به المفسر.

٤ـ تطبيقه أفضل طرق التفسير والتي تقوم على الاعتماد على القرآن الكريم أولاً، ثم السنة.. إلخ.

٥ـ عنايته بالتفسير اللغوي للألفاظ بشتى أنواعه من نحو، وصرف، وبلاغة، وشعر،... إلخ.

٦ـ عنايته بالتأصيل والاعتماد على القواعد في التفسير عامة، وفي تفسير الغريب خاصة.

٧ـ الاهتمام بتوثيق العلم ونسبته إلى أهله.

٨ـ عنايته ـ رحمه الله تعالى ـ بتقريب العلم، وتوضيحه، وترسيخه في أذهان الطلاب بالأساليب المساعدة على ذلك من تطبيق، وضرب أمثلة، ونحو ذلك.

ثانياً: أهم التوصيات:

توصياتي في هذا البحث تكمن في أمرين:

ـ **الأول**: الاهتمام بهذا النوع من التفسير، والاستفادة من منهج الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ في عنايته به وتركيزه عليه في تفسيره.

ـ **الثاني**: جمع تفسير ألفاظ القرآن ـ للشيخ ـ في كتاب مستقل تحت عنوان «تفسير غريب القرآن» أو نحو ذلك؛ ففيه فوائد جمة بإذن الله تعالى .

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يغفر للشيخ ابن عثيمين، وأن يجزيه خير الجزاء عن كل ما قدمه من خدمات جليلة للإسلام والمسلمين، وأسأله ـ سبحانه ـ أن يسبغ عليه رحمته، وأن يسكنه الفردوس الأعلى من جنته، إنه سميع قريب مجيب.

كما أسأله ـ سبحانه ـ أن يغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين..